لويس هيلفاند

نيلسون مانديلا

رسوم: سانكا بانرجي

نيلسون مانديلا

تأليف
لويس هيلفاند

ترجمة
ندى أحمد قاسم

مراجعة
إنجي بنداري

CAMPFIRE™

كلمات

نيلسون مانديلا

لويس هيلفاند

Nelson Mandela

Lewis Helfand

الطبعة الأولى ٢٠١٣م
رقم إيداع ٢٠١٣/٢٧٥٤
جميع الحقوق محفوظة للناشر كلمات عربية للترجمة والنشر
(شركة ذات مسئولية محدودة)

كلمات عربية للترجمة والنشر
إن كلمات عربية للترجمة والنشر غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبّر الكتاب عن آراء مؤلفه
ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢+ **فاكس:** ٢٢٧٠٦٣٥١ ٢٠٢+
البريد الإلكتروني: kalimat@kalimat.org
الموقع الإلكتروني: http://www.kalimat.org

هيلفاند، لويس.
نيلسون مانديلا / تأليف لويس هيلفاند، ترجمة ندى أحمد قاسم، مراجعة إنجي بنداري . - القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، ٢٠١٣.
١١٦ص، ١٦,٥ × ٢٦,٠سم
تدمك: ٠ ٢٢٠ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨
١- مانديلا، نيلسون، ١٩١٨-...
أ- قاسم، ندى أحمد (مترجم)
ب- بنداري، إنجي (مراجع)
ج- العنوان
٩٢٣,١

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أية وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

Arabic Language Translation Copyright © 2013 Kalimat Arabia.
Nelson Mandela
Copyright © 2011 Kalyani Navyug Media Pvt Ltd.
Published by Campfire, an imprint of Kalyani Navyug Media Pvt Ltd.
All rights reserved.

عن المؤلف

ولد لويس هيلفاند في السابع والعشرين من أبريل عام ١٩٧٨ في فيلادلفيا وترعرع في ناربيرث القريبة منها ببنسلفانيا. بالرغم من اهتمام لويس بالرسوم الكرتونية والرسوم المتحركة منذ سن صغيرة، فقد اتجه للكتابة في سن الثانية عشرة. بعد إنهائه دراسته الثانوية، مكث في منطقة فيلادلفيا بنية الحصول على درجة علمية في اللغة الإنجليزية.

بعد أربع سنوات، بدأ لويس مستعينًا بشهادته في العلوم السياسية وشغفه بالكتب المصورة، في العمل لدى ناشرين محليين مصححًا لكتب ومقالات صحفية. في عمر الرابعة والعشرين كان لويس قد عمل في تحرير أدلة الهاتف مدة عام ونصف العام، ولم يشعر بأنه اقترب من حلم حياته المتمثل في تأليف الكتب المصورة. لذا قرر ذات يوم الاستقالة من وظيفته.

بعد ذلك أمضى لويس الشهرين التاليين يعمل ليلًا ونهارًا على تأليف أول كتاب مصور له بعنوان «الدقيقة المهدرة» ورسمه. كان يروي قصة عالَم بدون جريمة يُجبر الأبطال الخارقون فيه على العمل في وظائف عادية. لتغطية تكلفة النشر لنفسه، بدأ يعمل في وظائف غريبة في المكاتب والمطاعم وبدأ يعرض مؤلفاته في معارض الكتب المصورة المحلية. بعد أن لاقى العدد الأول ترحيبًا، سرعان ما بدأ في التعاون مع فنانين آخرين وأصدر أربعة أعداد إضافية على مدار السنوات القليلة التالية.

خارج مجال الكتب المصورة، يعمل لويس كاتبًا حرًّا ومراسلًا لعدد من الصحف المحلية المطبوعة التي تُنشر عبر الإنترنت. وقد غطى كل الموضوعات بدءًا من الرياضة والسفر ووصولًا إلى السياسة والثقافة في مجلات مثل رينيسانس وأمريكان هيلث آند فيتنس وكمبيوتر بيتس.

لويس واحد من أغزر كتّاب كامبفاير إنتاجًا، حيث أعاد كتابة العديد من الكلاسيكيات الصادرة عن شركة ويسترن للنشر، وألّف العديد من السِّير وهو المؤلف الأصلي لروايتي «٤٠٠ قبل الميلاد» و«كابينة التصوير».

نيلسون مانديلا

وينى مانديلا

برام فيشر

أوليفر تامبو

ولتر سيسولو

جَستيس

فبراير ١٩٨٥. سجن بولسمور بجنوب أفريقيا.

لقد مر الآن أكثر من عشرين عامًا منذ حكم على نيلسون مانديلا بالسجن مدى الحياة.

قضى عقدين خلف القضبان، وذلك كله لأنه دافع عن العدل عندما حُرم الملايين من المساواة في الحقوق وتجاهلهم العالم.

هل كنت ستملك الشجاعة لتدافع عمن لا صوت له، وتكون صوته؟

هل كنت ستملك القوة لفعل ما تؤمن بأنه الصواب ... أيًا كانت العواقب؟

مانديلا! حضرت زوجتك والمحامي لرؤيتك.

هل كنت ستضحي بكل شيء ... حتى لو علمت أنك لست وحدك من سيُعاني؟
إنه لأمر رائع أن أراكِ يا ويني. لقد مر وقت طويل.
أعلم. لقد اشتقت إليك كثيرًا يا نيلسون، لم تسمح لنا سلطات السجن بزيارتك إلا الآن.
وشكرا لحضورك يا سيد أيوب.
إنه شرف لى يا سيد مانديلا. هل قررت ماذا ستفعل بخصوص عرض الرئيس بوثا؟
الحديث ممنوع في السياسة رجاءً. يمكنكم أن تناقشوا الأمور العائلية فقط. أنت تعلم قواعد السجن!
نحن نناقش عرضًا قدمه لي رئيس جنوب أفريقيا أمام البرلمان. إن كانت هذه مشكلة، أقترح أن تتصل بالرئيس شخصيًا.

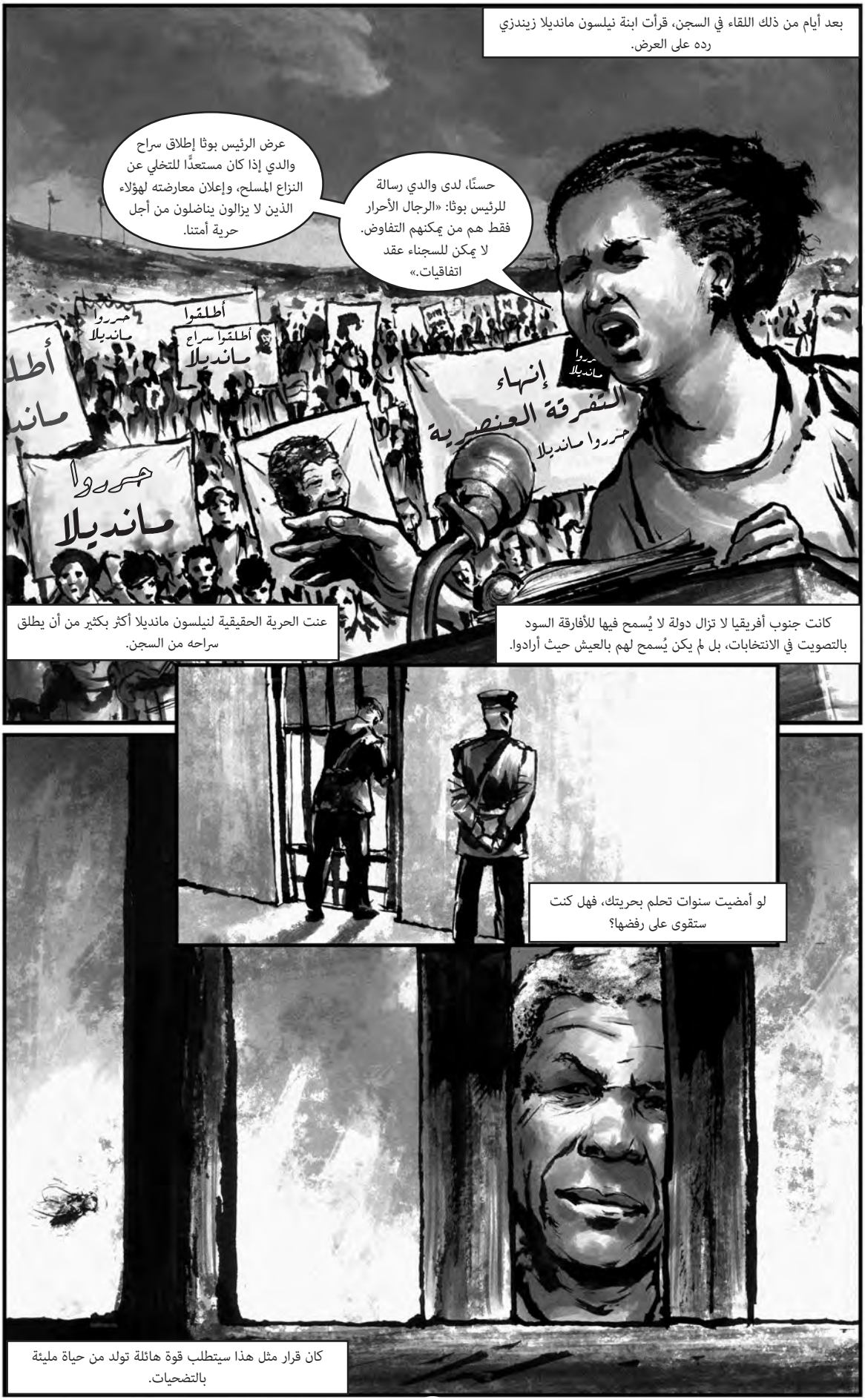
بعد أيام من ذلك اللقاء في السجن، قرأت ابنة نيلسون مانديلا زيندزي رده على العرض.
عرض الرئيس بوثا إطلاق سراح والدي إذا كان مستعدًّا للتخلي عن النزاع المسلح، وإعلان معارضته لهؤلاء الذين لا يزالون يناضلون من أجل حرية أمتنا.
حسنًا، لدى والدي رسالة للرئيس بوثا: «الرجال الأحرار فقط هم من يمكنهم التفاوض. لا يمكن للسجناء عقد اتفاقيات.»
أطلقوا سراح مانديلا
حرروا مانديلا
إنهاء التفرقة العنصرية
حرروا مانديلا
كانت جنوب أفريقيا لا تزال دولة لا يُسمح فيها للأفارقة السود بالتصويت في الانتخابات، بل لم يكن يُسمح لهم بالعيش حيث أرادوا.
عنت الحرية الحقيقية لنيلسون مانديلا أكثر بكثير من أن يطلق سراحه من السجن.
لو أمضيت سنوات تحلم بحريتك، فهل كنت ستقوى على رفضها؟
كان قرار مثل هذا سيتطلب قوة هائلة تولد من حياة مليئة بالتضحيات.

بدأت دروس مانديلا عن القوة والتضحية في قرية مفيزو بجنوب أفريقيا. كانت قرية صغيرة تقع على بعد مئات الكيلومترات من مدينتي كيب تاون وجوهانسبرج.

وُلد مانديلا في عشيرة ماديبا التي تنتمي إلى أمة خوسا في الثامن عشر من يوليو ١٩١٨، ولُقب باسم روليهلاهلا الذي يعني تقريبًا «مثير المتاعب».

كانت الحياة تخفي له مفآجات عظيمة، لكن ليس كمثير للمتاعب.

لم يرتد والده — جادلا هنري مفاكانيسوا — المدرسة قط ولم يعرف القراءة أو الكتابة.

لكنه كان خطيبًا مفوهًا سرعان ما قلّده أحد الملوك المحليين رتبة عالية.

هل تعلم يا روليهلاهلا أني الزعيم الجديد لمفيزو؟ أنا أعمل مستشارًا للملوك. وستكون هذه وظيفتك أيضًا يومًا ما.

بعد أسابيع قليلة، زار والد مانديلا رجل مستاء.
لقد تلقى القاضي المحلي شكوى ضدك بخصوص حكمك في ملكية ثور. وقد أمر بمثولك أمامه لتسوية الأمر.
أخبر القاضي أني مشغولٌ جدًّا ولن أستطيع الحضور الآن.
اعتُبر جواب مفاكانيسوا عصيانًا. كان كل الأفارقة السود — حتى الزعماء والملوك — مطالبين بالخضوع للقضاة البيض ومسئولي الحكومة الآخرين.
جرد القاضي مفاكانيسوا من منصبه كزعيم وجرده أيضًا من معظم ثروته وأراضيه وماشيته.
تبقى لوالد مانديلا أربع زوجات واثنا عشر طفلًا كي يرعاهم.
سنصل قريبًا. وسننجو.
اختارت والدة مانديلا — نوسيكيني فاني — أن تترك مفيزو رفقة مانديلا وبناتها. ساروا إلى موطن عائلتها في قرية كونو التي تبعد ثمانية وأربعين كيلومترًا.

كانت الحياة في كونو أبعد ما تكون عن السهولة، ومع أربع عائلات كان على والد مانديلا أن يرعاها لم يتمكن من زيارتهم إلا مرة كل شهر.
وقعت مهمة تحمل أعباء الحياة اليومية على كاهل النساء والأطفال. بدأ مانديلا في الاعتناء بالحيوانات القليلة التي امتلكوها وهو في الخامسة من عمره فقط.
روليهلاهلا، أحتاج إلى أن تحلب البقرات ليكون لدينا حليب على العشاء.
كان منزلهم يتألف من ثلاثة أكواخ صغيرة. وكان أحدها مخصصًا لحفظ مخزونهم من الذرة والفول واليقطين من المطر. وكان آخر مخصصًا للطهي ...
... وكان الثالث ينامون فيه على حصير بُسط على الأرض المتسخة.
هلا حكيت لي قصة؟
نم الآن يا بني. سأحكي لك غدًا.
كان نيلسون الصغير يحب الاستماع إلى القصص. وكانت والدته تروي له الأساطير التي تداولها أهل خوسا على مدار أجيال.
... ولأن هذه المرأة كانت عجوزًا ومريضة، ابتعد عنها الرجال جميعًا، ما عدا رجلًا واحدًا.
أشفق عليها فبدأت تتحسن. وعاد إليها صباها وجمالها أمام عينيه.
تذكر يا روليهلاهلا، غالبًا ما يعود عليك اللطف بمكافآت غير متوقعة.

روى والد مانديلا ورجال القرية له حكايات محاربي خوسا والمعارك التي خاضوها منذ زمن بعيد.

جاء البريطانيون لمقاتلة أسلافنا. كان رجال خوسا أقل عددًا منهم لكنهم كانوا رجالًا أشداءً وشجعانًا ولم يفقدوا الأمل قط.

كان لتلك القصص تأثير كبير على نيلسون.

آآآ!

فقد علمته أنه سواء في معركة أو في شجار بسيط بالعصا ...

آآآ

... هناك دائمًا مجال للشرف والرحمة.

إن إثبات قوتك أو الظفر على خصمك لا يعني بالضرورة إذلاله.

كانت مباراة جيدة. دعني أساعدك على النهوض.

على مر السنوات انتقل بعض الأفراد من قبيلة محلية أخرى تُدعى أمامفينجو إلى كونو.

ربطت علاقة صداقة بين أخوين من رجال هذه القبيلة، يدعيان جورج وبين مبيكيلا، وبين والدي مانديلا.

كان كلاهما قد حصل على درجة عالية من التعليم واعتنقا المسيحية. وقد اقترحا أن يسلك روليهلاهلا الصغير دربًا مختلفًا في الحياة.

ابنك ذكي جدًّا. ألم تفكر أبدًا في إلحاقه بالمدرسة؟

كان والدا مانديلا حريصين على ضمان الأفضل لابنهما. لذا بدأ في عمر السبع سنوات تعليمه الرسمي.

إذا كنت سترتاد المدرسة، فيجب أن ترتدي ملابس لائقة. لنرى إذا كان بنطالي المقصّر يلائمك.

أبي، ما زال كبيرًا جدًّا.

إذن سنضيّقه برباط.

هأ هأ

حتى بعد التعديل لم يناسبه البنطال جيدًا. لكن ظل نيلسون فخورًا بملابس المدرسة الجديدة.

لأن المدرسة كانت بريطانية وتوفر تعليمًا بريطانيًّا، كانت المعلمة — الآنسة ميدنجين — ترى أنه يجب أن يحمل كل الطلاب أسماءً بريطانية.

روليهلاهلا مانديلا، من الآن فصاعدًا ستنادى باسم نيلسون في الصف. هل هذا مفهوم يا نيلسون مانديلا؟

نعم، سيدتي.

ABCD
EFGH
IJKL

دام تعليم مانديلا في المدرسة المحلية بضع سنوات فقط. ففي عام ١٩٢٧، عندما كان عمره تسع سنوات فقط، أصيب والده بمرض عضال.

كان والد مانديلا ما زال يكافح لإعالة زوجاته وأولاده الكثيرين الذين يعيشون في قرى متفرقة الآن.

عندما وصل إلى كونو كان مريضًا جدًّا وسرعان ما توفي إثر إصابته بالسل.

كانت كونو هي الموطن الوحيد الذي عرفه مانديلا. كان قد خسر والده للتو والآن سيخسر عالمه كله.

يجب أن تغادر كونو يا نيلسون. فإن مستقبلك ينتظرك في مكان آخر.

تربى أطفال خوسا على ألا يعارضوا آباءهم ولم يكن مانديلا استثناء.

اتجه مانديلا مع أمه تاركين شقيقاته إلى قرية مكيكزويني.
كان القصر الكبير بمكيكزويني هو منزل الزعيم جونجينتابا دالينديبو، الحاكم الفعلي لشعب تيمبو.
كان قد بلغ منصبه بتوصية من والد مانديلا.
وقد رد المعروف بأن استضاف نيلسون الصغير في منزله وأصبح الوصي عليه.
فعلت والدة مانديلا ما ظنته الأمثل وتركته ليكتشف مستقبله بنفسه.
تشجع يا بني.

كان لدى الزعيم جونجينتابا وزوجته نكوسيكازي نو إنجلاند أطفال بالفعل؛ منهم صبي يُدعى جَستيس يكبر نيلسون بأربع سنوات.
أليست لديكما فروض منزلية لتنجزاها؟
أريد فقط أن أري نيلسون الخيول. سنعود سريعًا.
كان جَستيس يجسد كل ما يطمح إليه مانديلا من قوة وذكاء ولياقة وود.
أصبح الاثنان صديقين حميمين في الحال.
وفّى الزعيم جونجينتابا بوعده وعامل مانديلا كفرد من عائلته، فكان يذهب معهم حتى إلى قداس يوم الأحد كل أسبوع.
بذل مانديلا كل جهده ليجعلهم فخورين به دائمًا. لكن ككل صبي كان يخطئ أحيانًا.
يا للعار! أنت تسرق من الكنيسة. سأخبر القس!
سرعان ما وصلت الأخبار للزعيم جونجينتابا.
تسرق! نيلسون، أنت أعقل من ذلك.
وكان أعقل بالفعل. كان يشعر بخزي شديد حتى إنه لم يُعد الكرّة قط.

كان يجتمع الزعماء ورجال القبائل من قرى أخرى كل أسبوع في القرية. كانوا يناقشون القوانين الظالمة التي تفرضها الحكومة ويروون قصصًا عن محاربي خوسا والأبطال النبلاء الآخرين من كل أنحاء أفريقيا.

كانت كل قبائلنا تعيش كقبيلة واحدة.

ثم جاء الرجال البيض ودمروا السلام. لقد استولوا على أراضينا وحرضوا الأخ ضد أخيه.

كان مانديلا دائمًا يحاول حضور هذه الاجتماعات.

كان مفتونًا بهذه القصص التي لم تكن تشبه أي شيء سمعه من قبل.

كانت كلمات هؤلاء الرجال تجعل الأفكار تتدافع داخل عقله. وكانت هذه بداية اهتمامه بتاريخ بلده وحكومته.

لكن تلك الاجتماعات كانت مقتصرة على الكبار.

ماذا تفعل هنا أيها الصغير؟ أنت لست كبيرًا بما يكفي لتكون هنا. لماذا لا تذهب للعب عوضًا من ذلك؟

أطاع مانديلا الرجال، لكنه كان يعلم أنه سيعود عندما يكبر.

في عام ١٩٣٤، عندما أتم مانديلا السادسة عشرة من عمره، تقرر أنه قد أصبح مستعدًّا للانضمام إلى الأخوية الأفريقية ولأن يصبح رجلًا.

كانت تقاليد خوسا تفرض ختانًا قبليًّا وكان ذلك طقسًا يتم على مدار عدة أيام.

بمجرد انتهاء الطقس يستطيع الشباب الزواج ووراثة ثروات آبائهم. اشترك في الطقس نيلسون وجَستيس مع أربعة وعشرين ولدًا آخرين.

مُنح مانديلا بضع بقرات وخراف كهدايا، وكانت تلك أول ممتلكات يحوزها في حياته.

هذا الاحتفال لا يجعلكم رجالًا. نحن رجال سود من جنوب أفريقيا وكلنا عبيد عند الرجال البيض في بلدنا.

لكن الأهم من ذلك أنه أصبح بالغًا الآن. لقد أصبح أخيرًا ندًّا للرجال الذين طالما أُعجب بهم.

لكن الشباب تجاهلوا كلمات الزعيم مليجكيلي.

لا قيمة للهدايا التي تلقيتموها اليوم. الهدية الوحيدة ذات القيمة هي الحرية ولن نتمكن أبدًا من منحكم إياها.

تجاهلوه. إنه رجل عجوز متعصب. مستقبلنا باهر ومليء بالأمل. يمكننا فعل أي شيء.

بعد عدة أسابيع من مراسم الاحتفال أُرسل مانديلا إلى كلاركسبيري، أفضل مدرسة داخلية للأولاد الأفارقة في المنطقة.

نيلسون، هذا الموقر هاريس. إنه مدير المدرسة.

أخبرني الحاكم أنك تريد أن تصبح مستشارًا للملوك. سأحرص على أن تتلقى أفضل تعليم لتحقيق ذلك.

شكرًا يا سيدي.

بالإضافة إلى الدراسة، كان يُطلب من الطلاب العمل في المدرسة.

من المؤكد أنك جائع يا نيلسون؟ لمَ لا تأخذ استراحة وتتناول شيئًا.

بدافع اهتمامه الخاص بنيلسون كلفه الموقر بأبسط مهمة جسدية وهي العناية بحديقة الخضروات.

لم يكن الموقر وزوجته يشيهان البيض الذين تحدث عنهم الزعيم مليجكيلي إطلاقًا. بل كانا لطيفين وطيبين.

في ١٩٣٧، بعد بضع سنوات في كلاركسبيري، انتقل نيلسون إلى كلية ويسليان كوليدج ثم قُبل في جامعة فورت هير في ١٩٣٩ عندما كان في الحادية والعشرين من عمره.

فورت هير من أفضل الجامعات يا نيلسون. كم أنا فخور بك!

شكرًا لك أيها الزعيم جونجينتابا وشكرًا لزيارتك.

أظن أن بذلتك الأولى ستكون طريقة جيدة للاحتفال. من المهم أن ...

أرتدي ملابس تليق بالدراسة؟ لقد أخبرني والدي بذلك من قبل.

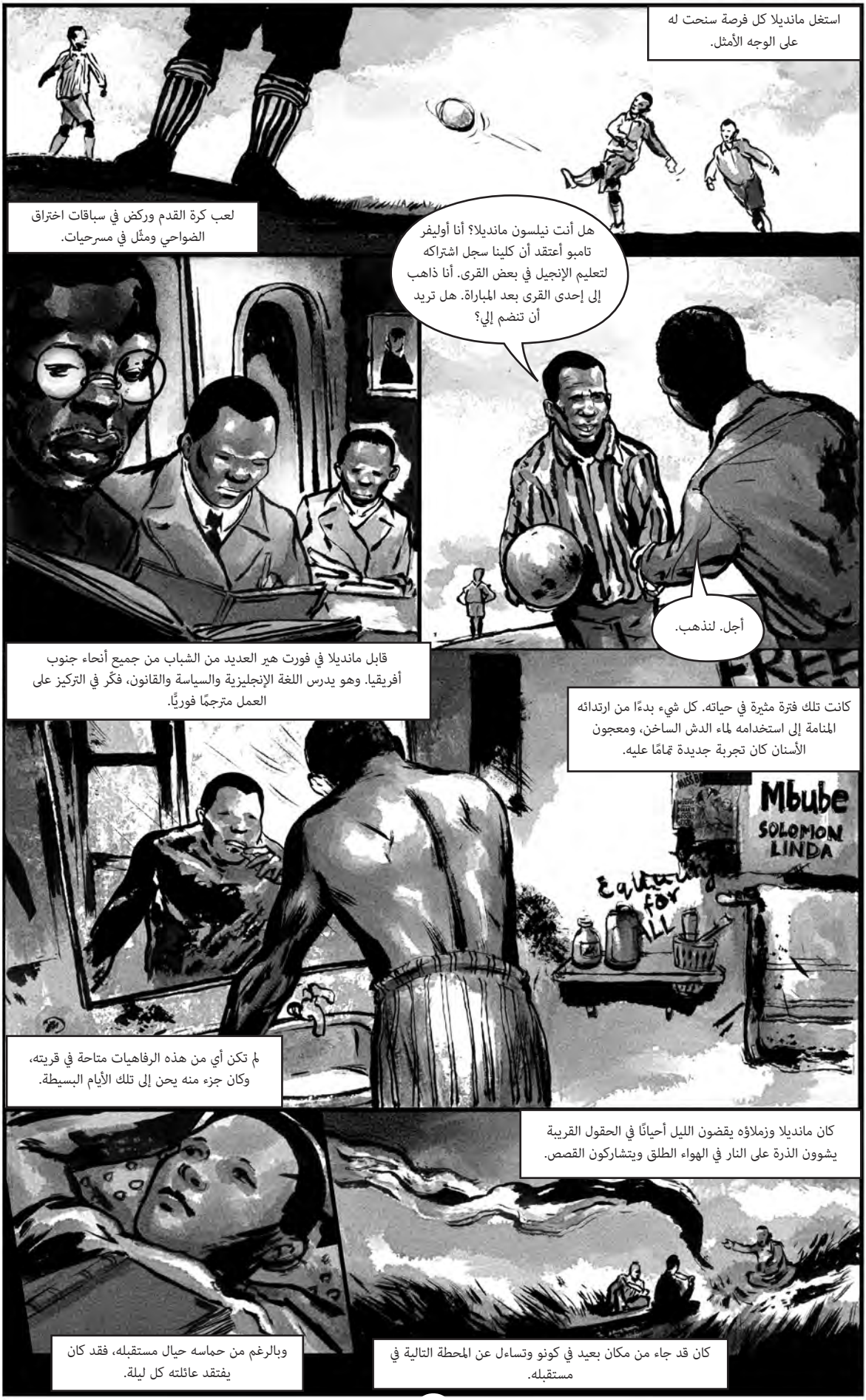
استغل مانديلا كل فرصة سنحت له على الوجه الأمثل.
لعب كرة القدم وركض في سباقات اختراق الضواحي ومثّل في مسرحيات.
هل أنت نيلسون مانديلا؟ أنا أوليفر تامبو أعتقد أن كلينا سجل اشتراكه لتعليم الإنجيل في بعض القرى. أنا ذاهب إلى إحدى القرى بعد المباراة. هل تريد أن تنضم إلي؟
أجل. لنذهب.
قابل مانديلا في فورت هير العديد من الشباب من جميع أنحاء جنوب أفريقيا. وهو يدرس اللغة الإنجليزية والسياسة والقانون، فكّر في التركيز على العمل مترجمًا فوريًا.
كانت تلك فترة مثيرة في حياته. كل شيء بدءًا من ارتدائه المنامة إلى استخدامه لماء الدش الساخن، ومعجون الأسنان كان تجربة جديدة تمامًا عليه.
Mbube
SOLOMON LINDA
لم تكن أي من هذه الرفاهيات متاحة في قريته، وكان جزء منه يحن إلى تلك الأيام البسيطة.
كان مانديلا وزملاؤه يقضون الليل أحيانًا في الحقول القريبة يشوون الذرة على النار في الهواء الطلق ويتشاركون القصص.
وبالرغم من حماسه حيال مستقبله، فقد كان يفتقد عائلته كل ليلة.
كان قد جاء من مكان بعيد في كونو وتساءل عن المحطة التالية في مستقبله.

في وقت لاحق في الفصل الدراسي، ذهب مانديلا وزميل له — بول ماهابني — في عطلة إلى مدينة أومتاتا.
مكتب بريد
أومتاتا
أيها الصبي، أحتاج إلى بعض الطوابع. ادخل إلى مكتب البريد واشترها لي.
كان الأفارقة السود ملزمين بقضاء المأموريات لمصلحة «أي» شخص أبيض في «أي مكان» وفي «أي وقت».
هل سمعتني أيها الصبي؟ هذه بعض الفكة والآن اذهب وأحضرها بسرعة.
لا، لن أذهب.
هل تعلم من أنا؟ أنا قاضٍ!
أعرف «ما» تكون. ما أنت إلا وغد.
كان مانديلا يعلم أن والد بول عضو نشط في منظمة المؤتمر الوطني الأفريقي، المكرسة لحماية حقوق الأفارقة غير البيض. لكنه لم يعهد مثل رد الفعل هذا من قبل.
مكتب بريد
أومتاتا
كان هذا على الأرجح من أوائل دروس مانديلا في العصيان.

في فورت هير في عام ١٩٤٠ كانت تقام انتخابات مجلس ممثلي الطلاب، وهم مجموعة من الطلاب كانت مهمتهم إيصال مطالب الطلاب إلى الإدارة.

لم تستجب الإدارة بعد إلى مطلبنا بتقديم وجبات أفضل.

ليست لدينا أي سلطة حقيقية للتأثير على سياسات الكلية. أعتقد أنه علينا مقاطعة الانتخابات حتى نحصل عليها.

قاطع حوالي ثمانين في المائة من الطلاب الانتخابات. انتخب القلة الذين صوتوا مانديلا واحدًا من الممثلين الستة.

كيف يمكننا تمثيل صوت الطلاب ونحن لم نحصل على تأييد الأغلبية؟ ينبغي علينا كلنا الاستقالة.

عقد المدير د. كير الانتخابات مرة أخرى وكانت النتيجة واحدة تقريبًا.

قاطع أغلبية الطلاب الانتخابات مرة أخرى وأُعيد انتخاب الطلاب الستة ذاتهم مرة أخرى. لكن هذه المرة كان مانديلا وحده الصوت المعارض.

أجريت الانتخابات الثانية في وقت العشاء يا مانديلا. جميع الطلاب كانوا «هناك».

لكن لم يدل الجميع بأصواتهم. ليس من النزيه قبول المنصب بدون دعم أغلبية الطلاب.

لقد انُتُخبت مرتين ولديك واجب يجب أن تؤديه يا مانديلا. يجب أن تقبل وإلا فصلتك؟

لماذا لا تفكر في الأمر لهذه الليلة؟

كتب جديدة من لندن

١٩٤١. القصر الكبير بمكيكزويني.
اتخذ مانديلا موقفًا معارضًا بالفعل بالرغم من عدم شعبية هذا الموقف.
لقد قال د. كير إنه سيعيد قبولك في الفصل الدراسي القادم إذا قبلت منصب ممثل الطلاب وهذا ما سوف تفعله بالضبط. مفهوم؟
كما اخترت عروستين لك أنت وجَستيس ودفعت مهريهما. أريد أن أرى ولدي متزوجين قبل أن أموت. ولا مجال للنقاش في أي من هذه الأمور.
ماذا أفعل يا جَستيس؟ أود أن أختار عروسي بنفسي عندما أتزوج.
لقد فعل من أجلي الكثير. لا أريد أن أجرحه أو أخيب ظنه. لكن كيف أرفض؟
حسنًا، لا فكرة لدي يا نيلسون.
لنهرب.

يمكننا استقلال القطار المتجه إلى جوهانسبرج والبحث عن عمل هناك. سيكون أبي مسافرًا لبضعة أسابيع في مهمة عمل. هذه هي فرصتنا للهرب.
لكننا سنحتاج نقودًا لشراء التذاكر.
يمكننا بيع اثنين من الثيران التي أهديت لأبينا؟
هذا المساء.
ينبغي أن يوفر لنا هذا ما يكفي من المال للوصول إلى جوهانسبرج.
هل أنت متأكد أن والدك يريد بيع هذين؟
نعم! نعم!
احرص على أن يعلم الحاكم أنني أعطيته صفقة رابحة.
على كم حصلنا؟
ما يكفي لدفع أجرة سيارة توصلنا إلى محطة القطار. هيا بنا.

لكن لسوء الحظ، كان الحاكم قد أبلغ موظف التذاكر بالفعل بأمر هروبهما.
تذاكر
أعتذر لكن لا أستطيع بيع التذاكر لك.
بعد أن عجز الشابان عن شراء تذاكر القطار، قررا مواصلة طريقهما بالسيارة إلى المحطة التالية.
تبعد المحطة التالية ثمانين كيلومترًا. لماذا لا تشتريان التذاكر من هذه المحطة عوضًا عن ذلك؟
لا يهم. فقط أوصلنا إلى هناك لنتمكن من اللحاق بالقطار الذاهب إلى جوهانسبرج.
أعتقد أن القطار يصل إلى كوينزتاون فقط.
كوينزتاون بجنوب أفريقيا.
كان من الحقوق العديدة المنكرة على السود حق السفر بحرية.
لو قُبض علينا بدون وثائق سفر أو تصاريح عمل فقد نتعرض للغرامة أو السجن. ماذا يجب أن نفعل الآن؟
لحسن حظهما، تصادف أن شقيق الحاكم كان مارًّا بالجوار. ولحسن الحظ أنه لم يكن يعلم أي شيء عن فرارهما.
جَستيس؟ نيلسون؟ ماذا تفعلان هنا؟
نحن ... في مهمة ... لأبي؟ لكن أولًا نحتاج بعض المساعدة بخصوص وثائق سفرنا. هل يمكنك مساعدتنا يا عمي؟

أنتما محظوظان يا أولاد. مكالمة هاتفية أخرى وستكونان في طريقكما.
أخبار طيبة يا أولاد. اتضح أن والدكما في مكتب القاضي الآن. سيضمنكما.
اقبض على هذين الولدين!!
يقول والدكما إنكما كذبتما علي. هل هذا صحيح؟
أجل. لقد كذبنا عليك. لكن كذبنا عليك بشأن سبب وجودنا هنا ليس مخالفًا للقانون ولا يمكنك القبض علينا إذا لم نخالف القوانين.
ربما لا أستطيع القبض عليكما لكن لا يمكنني مساعدتكما أيضًا. لذا اخرجا من هنا ولا تأتيا طلبًا لمساعدتي مرة أخرى أبدًا.
تمكن جَستيس ونيلسون من العثور على شخص يوصلهما إلى جوهانسبرج نظير مبلغ زهيد.
مدينة الذهب يا جَستيس. هل تذكر ... حيث تصل المباني إلى عنان السماء؟
أجل، لقد وصلنا أخيرًا.

وجدا مبيتًا لليلة واحدة على الأرض في غرف للخدم.
لكن سرعان ما تعين عليهما العثور على عمل.
كانت الظروف الصعبة والعمل الشاق في المناجم هو المهمة التي ترك الكثير من الأفارقة منازلهم لأدائها.
كانت الأكواخ تخصص للرجال وفقًا لقبائلهم. كان أصحاب المناجم يرون هذه طريقة ناجحة لمنع القبائل المختلفة من الاتحاد والاحتجاج على ظروف العمل الرديئة في المناجم.
لنبحث عن رئيس العمال. لقد اتصل به والدي ليجد لي عملًا قبل بضعة أشهر.

مرة أخرى كان لاسم الزعيم جونجينتابا شأن عظيم.
لقد راسلني والدك منذ عدة أشهر بشأن حجز وظيفة إدارية لك يا جَستيس. لم يكن لدي علم بأنك ستأتي الآن، ولا أنك ستحضر أخاك معك.
ومرة أخرى كذب الشابان.
لقد أرسل والدي أيضًا طلبًا بشأن وظيفة لأخي. ألم تتسلمه؟
لا لم أتسلمه. لكن أعتقد أنه يمكنني أن أجعله الحارس الليلي هنا.
وبعد أسبوع.
ومرة أخرى انكشفت أكاذيبهما عندما تلقى رئيس العمال برقية من الحاكم.
هل يوجد شيء لم تخبراني به أيها الشابان؟
وبذلك أجبرا على الهروب من المناجم.
وبينما ركز نيلسون على إيجاد عمل، ذهب جَستيس لإيجاد سكن لهما. ولأن أفراد قبيلة خوسا كانوا يرون أفراد القبيلة الآخرين بمنزلة أقارب لهم، فقد وجد ماندیلا «قريبًا» على استعداد لمساعدته.
نيلسون، أود أن أعرفك على ...

ولتر سيسولو. تسرني مقابلتك. لقد أخبرني قريبك أنك تبحث عن عمل؟ ماذا تحب أن تعمل؟
كان ولتر سيسولو يكبر مانديلا بستة أعوام، وقد علّم نفسه وعمل في مناجم الذهب والمصانع قبل أن يؤسس وكالته العقارية الخاصة.
وكان معروفًا في أنحاء جوهانسبرج كزعيم محلي يقدم المساعدة للمحتاجين دائمًا.
كنت مهتمًّا بالقانون عندما كنت في المدرسة. لقد تركت فورت هير لكني أريد أن أكمل دراستي في جامعة جنوب أفريقيا إن استطعت.
أعرف شخصًا يطلب موظفًا تحت التدريب. ربما يمكنك العمل معه.
قدّم سيسولو المحامي بشركة ويتكين وسيدلسكي وإيدلمان مانديلا إلى أحد شركائه؛ لازار سيدلسكي.
نظرًا لأن الشركة كانت من أكثر شركات المحاماة ازدهارًا في المدينة، فقد عينوا مانديلا موظفًا تحت التدريب.
وبعد بضعة أسابيع فقط من العمل الجاد، انبهر سيدلسكي وبدأ يُعجب بمانديلا.
لقد كنت تؤدي عملًا رائعًا يا سيد مانديلا. ظننت أنك ربما تريد بذلة إضافية. هذه واحدة من بذلاتي القديمة. و ...
... هذا مبلغ إضافي بسيط؛ اعتبره قرضًا ليساعدك في الوقوف على قدميك.

حصل مانديلا على الفرصة التي يحتاجها وتشبث بها بكل ما أوتي من قوة.
لقد عمل جاهدًا في شركة المحاماة، حيث بدأ بالمهام الكتابية فقط وفي نهاية المطاف بدأ يكتب العقود للعملاء الأفارقة.
بالرغم من انشغال مانديلا الدائم بوظيفته النهارية، فقد كان عازمًا على الحصول على شهادة ليسانس الآداب. وليلًا، كان يذاكر على ضوء الشموع لأنه لم يكن يقدر على شراء مصباح كيروسين.
كان يوفر النقود بأي وسيلة ممكنة. بدءًا من ارتداء نفس البذلة المرقعة يومًا بعد يوم ...
... حتى السير مسافة تسعة عشر كيلومترًا كل يوم ذهابًا وإيابًا من العمل لتوفير ثمن تذكرة الحافلة.
كان يتكيف مع أي مأوى يجده وغالبًا ما كان يعتمد على عروض سيسولو الكريمة حيث كان يقدم له مبيتًا مجانيًا.

بقدر ما كان السيد سيدلسكي لطيفًا، وبالرغم من التقدم الذي كانت تحرزه شركة المحاماة، فقد كان التعصب لا يزال أسلوب حياة في جنوب أفريقيا.

انظر يا نيلسون. احتفالًا بانضمامكما للشركة اشتريت أنا والسكرتيرات الأخريات فناجين شاي جديدة لك أنت وجور.

كان جور راديبي الموظف الأفريقي الآخر الوحيد في الشركة.

صدقني يا نيلسون.

هذه الفناجين الاحتفالية الجديدة ما هي إلا طريقة لحملنا على استخدام فناجين مختلفة لفصلنا عن الموظفين البيض.

بينما آثر راديبي التمرد الجريء على هذا النوع من التمييز ...

... قضى مانديلا شهورًا دون شاي لتجنب التورط في الأمر.

جور رجل طيب يا مانديلا. لكن يجب أن تكون حكيمًا وأن تبتعد عن سياسة المكتب. حتى خارج هذه الشركة، لن تجلب لك السياسة سوى المتاعب.

بدا أن المتاعب قد وجدت مانديلا بالفعل، لكن ليس في رداء السياسة.

في ١٩٤٢، زار الزعيم جونجينتابا جوهانسبرج وأراد مقابلته هو وجَستيس.

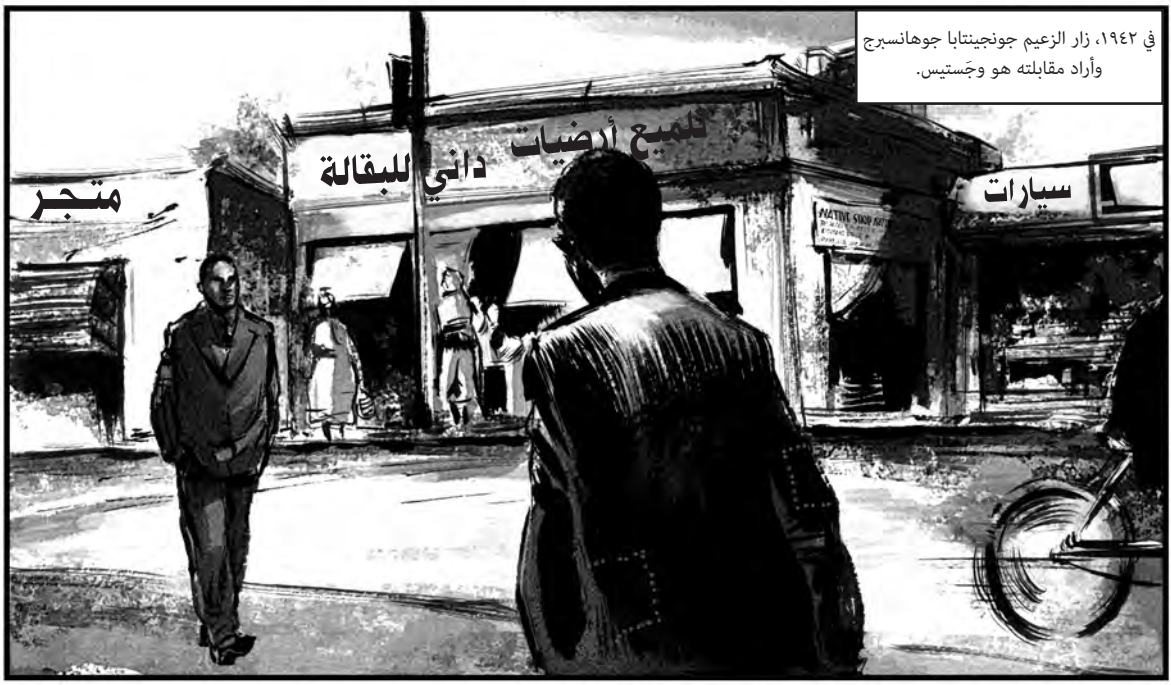

... لكن لم يكن الأمر مماثلًا لجَستيس الذي كان يعلم أن والده لا يزال يعارض قرار رحيله عن المنزل.

تبدو بحالة جيدة يا بني. تسرني رؤيتك.

تسرني رؤيتك أيضًا.

أخبرني كل شيء عن دراستك وعن وظيفتك الجديدة. لقد علمت أنك تتدرب لتصبح محاميًا.

نعم، أنا أعمل في شركة محاماة.

نيلسون، رجاءً أخبر جَستيس في المرة المقبلة التي تراه فيها أن مكانه في مكيكزويني وليس هنا.

لقد ألان الوقت موقف الحاكم تجاه مستقبل مانديلا ...

كان جَستيس قد قابل فتاة أعجبته وكان الآن أكثر إصرارًا من قبل على عدم العودة إلى المنزل.
لكن خططه تغيرت عندما علم بوفاة والده بعد ستة أشهر فقط من زيارته لجوهانسبرج.
علم نيلسون وجَستيس بالفاجعة من إحدى الصحف وسارعا إلى المنزل.
كانت قد أُرسلت برقية إلى جَستيس لكنها لم تصله أبدًا وتأخرا طويلًا عن مراسم الدفن.
أعتقد أن مكاني هنا يا نيلسون. سأبقى هنا وأتولى الزعامة.
وهكذا، بعد أسبوع في مكيكزويني، عاد مانديلا إلى جوهانسبرج وحيدًا.
3079

بحلول ديسمبر ١٩٤٢، حصل مانديلا على ليسانس الآداب والتحق بجامعة فيتفواترسراند في جوهانسبرج لدراسة القانون.

لكن دراسته الأكاديمية كانت جزءًا صغيرًا من تعليمه. كان جور راديبي قد بدأ يصطحب مانديلا إلى محاضرات واجتماعات المؤتمر الوطني الأفريقي. وشهد معه أول احتجاج له.

ارتفاع الأسعار

خفضوا أجرة الحافلات

ارتفاع الأسعار

خفضوا أجرة الحافلات

ارتفاع الأسعار

خفضوا أجرة الحافلات

قاطع عشرة آلاف شخص خدمة الحافلات بسبب ارتفاع بمقدار «بنس واحد» في الأجرة. عندما نجحت المقاطعة، بدأ مانديلا يؤمن أن الإصلاح ممكن. لكن التغيير لا يمكن أن يحدث دون قائد.

سأترك الشركة يا نيلسون. إنها مجرد وظيفة، لكن مستقبلي ليس هنا. تعطيني الشركة عملًا يجب أن تعمله أنت.

ستساعدك الخبرة العملية على أن تصبح محاميًا جيدًا.

وأنت بحاجة إلى أن تصبح محاميًا عظيمًا يا نيلسون. ستكون بلدنا بحاجة إلى أشخاص مثلك إذا كنا نريد مستقبلًا أفضل.

في ١٩٤٣، لم يكن في البلد كله سوى بضعة محامين وموظفين أفارقة تحت التدريب، وكان مانديلا واحدًا منهم.

وكان أيضًا الطالب الأفريقي الأسود الوحيد في كلية الحقوق التي درس بها.

لم يكن مانديلا يحصل دائمًا على أفضل الدرجات في الجامعة. لكنه كان يعوض ذلك بنهمه للمعرفة.
بالرغم من كل العنصرية التي نواجهها، كيف يمكنك القول إن العرق ليس المفتاح يا سيد فيشر؟
كان مانديلا قد أصبح صديقًا مقربًا لبرام فيشر، المحاضر في الجامعة ...
لم أقل إن العرق بعيد عن الموضوع يا نيلسون. لكن أعتقد أن أكبر قضية تواجهها بلادنا هي الطبقية وليس العرق.
... وأيضًا لطلاب مثل جو سلوفو وروث فيرست.
أعتقد أننا نتفق جميعًا سواء أكنا بيضًا أم سودًا أم هنودًا ...
يجب أن يتغير شيء ما في هذا البلد من أجلنا جميعًا.
كان أصدقاء مانديلا الجدد أعضاءً في الحزب الشيوعي. ولم يكن مانديلا شيوعيًا، كان يتميز بعقلية متفتحة تتقبل كل التوجهات.
قرأ قدر استطاعته عن أفكار شي جيفارا وماو تسي تونج الشيوعية وحتى تعاليم غاندي، مع التركيز دائمًا على الأفكار التي اعتقد أنها يمكن أن تُحدث تغييرًا في جنوب أفريقيا.

صادق مانديلا بعض الطلاب الهنود أيضًا، منهم إسماعيل مير وجيه إن سينج.
يا هذا! غير مسموح بركوب السود في هذا القطار. أنزلوا صديقكم الأسود الآن!
أسود؟ أسود؟ كيف تجرؤ على توجيه إهانات عنصرية إلى صديقنا!
لن نذهب إلى أي مكان!

بالرغم من حصول الهنود على حرية أكبر من السود، فلم يعاملوا على قدم المساواة مع البيض ... وهكذا قُبض عليهم فورًا.
في الصباح التالي، هرع برام فيشر إلى المحكمة ليوكل نفسه محاميًا عنهم. ونظرًا لأن فيشر قد ولد لعائلة تحظى بنفوذ واحترام كبيرين، فقد تمكن من إقناع القاضي بأن يحكم لمانديلا وأصدقائه.

كان مانديلا قد بدأ يحيط نفسه بأشخاص بنفس عقليته. كل أصدقائه الجدد كانوا على استعداد للكفاح من أجل مستقبل أفضل.
وكذلك كان هو!

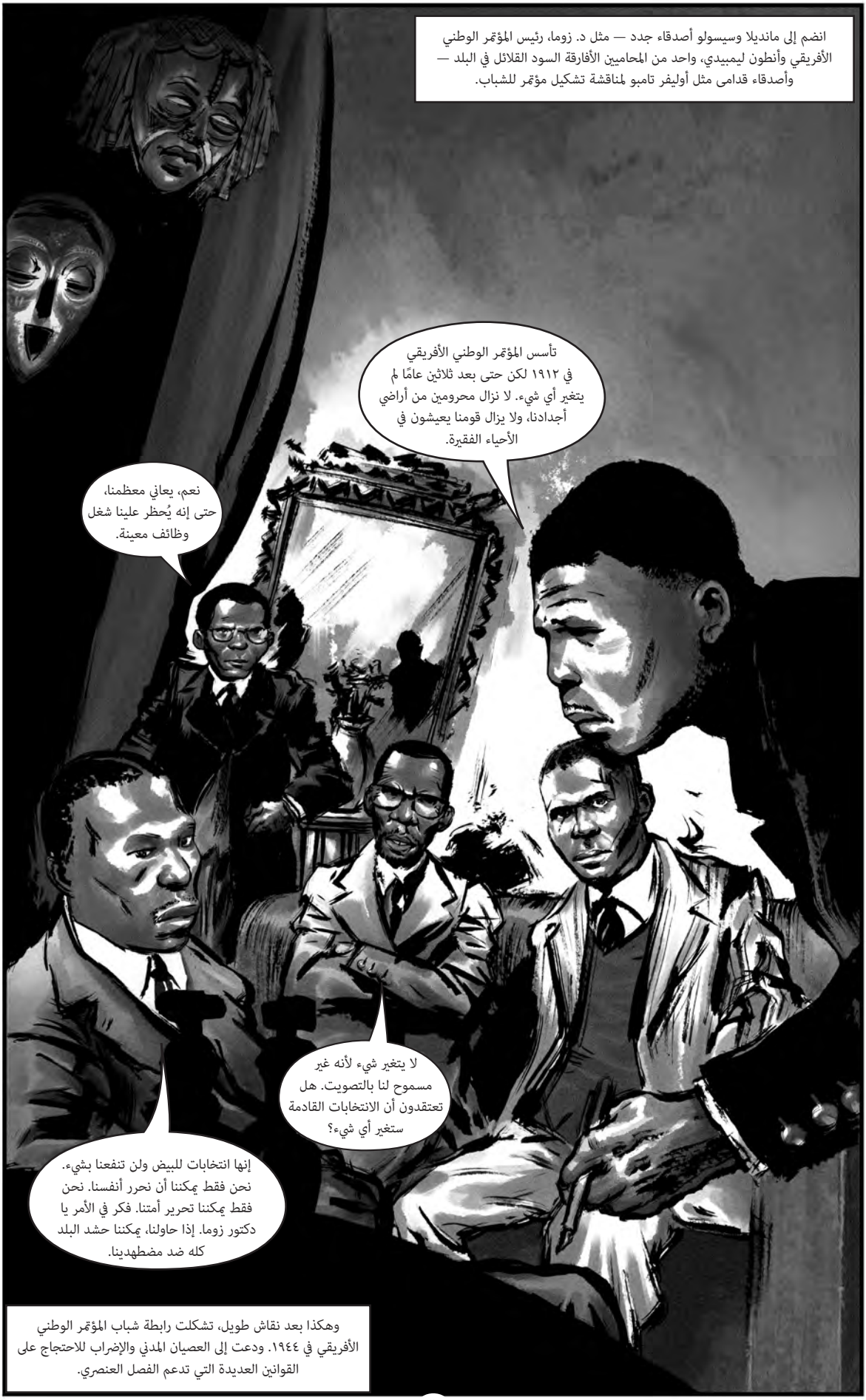
انضم إلى مانديلا وسيسولو أصدقاء جدد — مثل د. زوما، رئيس المؤتمر الوطني الأفريقي وأنطون ليمبيدي، واحد من المحامين الأفارقة السود القلائل في البلد — وأصدقاء قدامى مثل أوليفر تامبو لمناقشة تشكيل مؤتمر للشباب.
تأسس المؤتمر الوطني الأفريقي في ١٩١٢ لكن حتى بعد ثلاثين عامًا لم يتغير أي شيء. لا نزال محرومين من أراضي أجدادنا، ولا يزال قومنا يعيشون في الأحياء الفقيرة.
نعم، يعاني معظمنا، حتى إنه يُحظر علينا شغل وظائف معينة.
لا يتغير شيء لأنه غير مسموح لنا بالتصويت. هل تعتقدون أن الانتخابات القادمة ستغير أي شيء؟
إنها انتخابات للبيض ولن تنفعنا بشيء. نحن فقط يمكننا أن نحرر أنفسنا. نحن فقط يمكننا تحرير أمتنا. فكر في الأمر يا دكتور زوما. إذا حاولنا، يمكننا حشد البلد كله ضد مضطهدينا.
وهكذا بعد نقاش طويل، تشكلت رابطة شباب المؤتمر الوطني الأفريقي في ١٩٤٤. ودعت إلى العصيان المدني والإضراب للاحتجاج على القوانين العديدة التي تدعم الفصل العنصري.

لكن قبل أن يستطيع مانديلا البدء في حشد الدعم لرابطة شباب المؤتمر الوطني الأفريقي المؤسسة حديثًا، حدث شيء غير متوقع في اجتماع مع ولتر سيسولو.
نيلسون، أعرفك بقريبتي، إفيلين ميز. لقد انتقلت لتوها إلى جوهانسبرج وتدرس لتصبح ممرضة.
مرحبًا، إفيلين.
وقع إفيلين ونيلسون في الحب من النظرة الأولى. وتواعدا لبضعة أشهر قبل أن يتزوجا في الخامس عشر من يوليو ١٩٤٤.
لم يتمكنا من تحمل تكلفة زفاف فاخر، فأقاما بدلًا من ذلك حفل زفاف مدني بسيط في دار العدل.
وبعد عام، احتفلا بميلاد أول طفل لهما، أعطوه اسم ماديبا ثيمبيكل، لكنهما كانا يدعوانه ثيمبي.
عاش ثلاثتهم مع عائلة إفيلين حتى تمكنوا من شراء منزل خاص بهم في بداية ١٩٤٦. كان منزلًا صغيرًا من ثلاث غرف بدون كهرباء.
بحلول ١٩٤٧، لم يكن لدى مانديلا عائلة فقط لكنه أيضًا كان قد أكمل ثلاث سنوات كموظف تحت التدريب.
رائع يا نيلسون! رائع بمعنى الكلمة.
كان يبدو أن كل ما أراده في الحياة يتحقق. لم يكن يعلم أن كل ذلك سينهار قريبًا.

٢٦ مايو ١٩٤٨.

النتائج الآن رسمية.
لقد فاز الحزب الوطني بالانتخابات
وعد قادة الحزب بتغييرات فورية في نظام الحكم.

رغيفة
٠٫٣٨

تأسس الحزب الوطني في ١٩١٤ وكان حزبًا سياسيًّا يهدف إلى تعزيز الوحدة بين البيض. فقدموا تشريعًا جديدًا يصنف الجميع في أربع مجموعات عرقية؛ «السود» و«البيض» و«الملونين» و«الهنود».

بدأ الحزب الوطني أيضًا نظام التمييز العنصري الذي يندرج تحت سياسة عامة من الفصل العنصري. في ظل هذا النظام، قُلِّصَت حقوق الأغلبية «غير البيضاء» من سكان جنوب أفريقيا لمصلحة الأقلية البيضاء من المواطنين.

لم يُسمح بالزواج من أشخاص ينتمون لأعراق مختلفة. ولم يُسمح لغير البيض بالسكن في أحياء واحدة مع البيض. أصبح التمييز العنصري سياسة قومية تهدف إلى تقييد كل جوانب الحياة اليومية.

أقترح أن ننظم احتجاجات سلمية يا دكتور زوما. انظر لكل ما حققه غاندي بأساليبه. يمكننا الإضراب و ...

ولا شيء. لا يمكننا المخاطرة بالدخول إلى السجن.

من أجل حريتنا يجب أن نخاطر «بكل شيء»!

للكفاح ضد الفصل العنصري، تبنى المؤتمر الوطني الأفريقي أفكار رابطة الشباب الاحتجاجية في ١٩٤٩. لكن خشي دكتور زوما أن الوقت لم يكن مناسبًا للتحرك.

من ناحية أخرى، خشي مانديلا وزملاؤه من حدوث الأسوأ إذا استمروا في الانتظار.

حل دكتور جيه إس موروكا محل دكتور زوما في رئاسة المؤتمر الوطني الأفريقي وجرى تنظيم إضراب. في الأول من مايو ١٩٥٠، لم يذهب أكثر من ثلثي العمال الأفارقة السود إلى العمل واستمر الاحتجاج السلمي طوال الليل.

ردت الحكومة على احتجاج «يوم الحرية» ذلك ...

بأن أمرت الشرطة بإطلاق النار على حشد أعزل.

وعندما انطرح المدنيون الخائفون أرضًا ...

... انطلقت الشرطة لشن هجوم ثانٍ.

طاخ

بحلول نهاية الليل، لقي ثمانية عشر مدنيًّا مصرعهم وجرح الكثيرون.

كانت محاولة محاربة عدو لا يبدي أي رحمة تزداد صعوبة أكثر وأكثر وتشغل المزيد والمزيد من وقت مانديلا.
نيلسون؟ إلى أين أنت ذاهب؟
لم تشرق الشمس بعد وأنت ذاهب إلى العمل؟ متى ستعود؟
لا أعلم يا إفيلين، لدي المزيد من الاحتجاجات لتنظيمها.
كان مانديلا مشغولًا جدًّا ولم يكن لديه أي وقت لعائلته.
أمي، أين يعيش أبي؟
لا تكن سخيفًا يا ثيمبي. أنت تعلم أن والدك يعيش معنا.
لكني لا أراه أبدًا.
ولدت ابنتهما الأولى في ١٩٤٧ لكنها كانت مريضة وعاشت تسعة أشهر فقط. ثم في ١٩٥٠، عندما كان ثيمبي في الرابعة من عمره، أنجبوا ابنًا ثانيًا سُمي ماكجاثو ليوانيكا مانديلا.
كان الاستيقاظ في الصباح الباكر والعودة في آخر الليل أمورًا بدأت تسلب مانديلا حياته العائلية.

كان مانديلا عازمًا على التضحية بكل شيء من أجل القضية التي آمن بها. كان قد تولى دورًا قياديًّا أكبر في رابطة شباب المؤتمر الوطني الأفريقي وأصبح مسئولًا عن تجنيد المتطوعين وتدريبهم.

في إطار آخر احتجاج ضخم عُرف «بحملة التمرد»، طلب مانديلا من قومه مخالفة قوانين التمييز العنصري.

طلب منهم أن يستخدموا المراحيض وعربات القطار المخصصة «للبيض فقط»، وأن يدخلوا السجن محتجين، وأن يُضربوا، وأن يخاطروا «بكل شيء».

في السادس والعشرين من يونيو ١٩٥٢، في أول يوم من «حملة التمرد»، اعتُقل مانديلا مع مئات الرجال من أبناء بلده.

واتُّهم بالتواطؤ مع الحزب الشيوعي، الذي حُظر بموجب قانون قمع الشيوعية الصادر في ١٩٥٠. وبعد عدة أشهر أُطلق سراحه مرة أخرى.

كان محظورًا على مانديلا الوجود في أي تجمعات لمدة ستة أشهر، وكان التجمع يعني التحدث لأكثر من شخص واحد في كل مرة.

قلت إن لديك سؤالًا لي يا ثيمبي؟

ماذا بك يا ثيمبي؟ ما الخطب؟

بسبب ذلك لم يُسمح له حتى بحضور المناسبات العائلية.

أبي. لماذا لا يمكنك أن تأتي إلى حفلة عيد ميلادي؟ ما زلت لا أفهم.

لست متأكدًا أني أفهم أيضًا يا ثيمبي.

كانت الاعتقالات المستمرة وقرارات الحظر أساليب تخويف لإضعاف من يؤيدون النضال.

حاول مانديلا الحفاظ على بعض مظاهر الحياة الطبيعية. اجتاز أخيرًا امتحاناته، وأصبح محاميًا ممارسًا وافتتح مكتب المحاماة الخاص به في ١٩٥٢.
البيض فقط
ماذا تفعل هنا؟ ليس من المفترض أن تكون ...
البيض فقط
أنا أنتظر صديقًا لي فقط. لا أمانع الانتظار لكن شكرًا لاهتمامك.
كان الصديق الذي ينتظره مانديلا هو أوليفر تامبو، الذي كان يعمل الآن في شركة محاماة للبيض.
اعتاد مانديلا أن يستخدم غرفة الانتظار المخصصة للبيض فقط كلما ذهب لزيارته.
هل تسبب المشاكل مجددًا يا نيلسون؟
كالمعتاد. هل تود التسبب في المشاكل معي؟ أود أن تصبح شريكي.
أسس الاثنان مكتبًا بعد بضعة أشهر في مبنى مقابل تمثال العدالة مباشرة.
العدالة للجميع يا نيلسون. سنحقق ذلك يومًا ما، أليس كذلك؟

مارس ١٩٥٢.
في هذا الوقت، غيرت الحكومة تصنيفها لمجموعة «الملونين» العرقية. كان التصنيف «ملونين» يشير سابقًا إلى ذوي الأصول المختلطة الذين لهم جذور أفريقية. أما في التصنيف الجديد، فأي شخص كان يعتبر «ملونًا» في السابق قد أصبح الآن ضمن الفئة «أسود».
كان المواطنون «الملونون» يتمتعون بحقوق أكثر من «السود» حتى ذلك الحين، لذا كان يعني هذا التغيير في الحالة العرقية فقدان الكثير من الناس لحريتهم.
سيد مانديلا! تعيش عائلتي في نفس المنزل منذ عقود. والآن صُنفت المنطقة «للبيض فقط» ونتعرض للطرد.
من فضلك تفضل إلى مكتبي.
سيد تامبو! لقد أعادت الحكومة تصنيفي أفريقيًّا لا ملونًا. وقد فصلت من عملي بسبب ذلك.
سنتولى القضية يا سيدي.
مكتب مانديلا وتامبو
لأن تلك كانت شركة المحاماة الوحيدة المملوكة لأفريقيين في البلد وإحدى الشركات القليلة التي تتقاضى أجورًا معقولة من الأفارقة، تهافت عليهم الموكلون.
وعندما حاولت الحكومة طردهم من المبنى وإجبارهم على الانتقال إلى منطقة أفريقية ...
... رفضوا الانتقال واستمروا في مساعدة موكليهم.

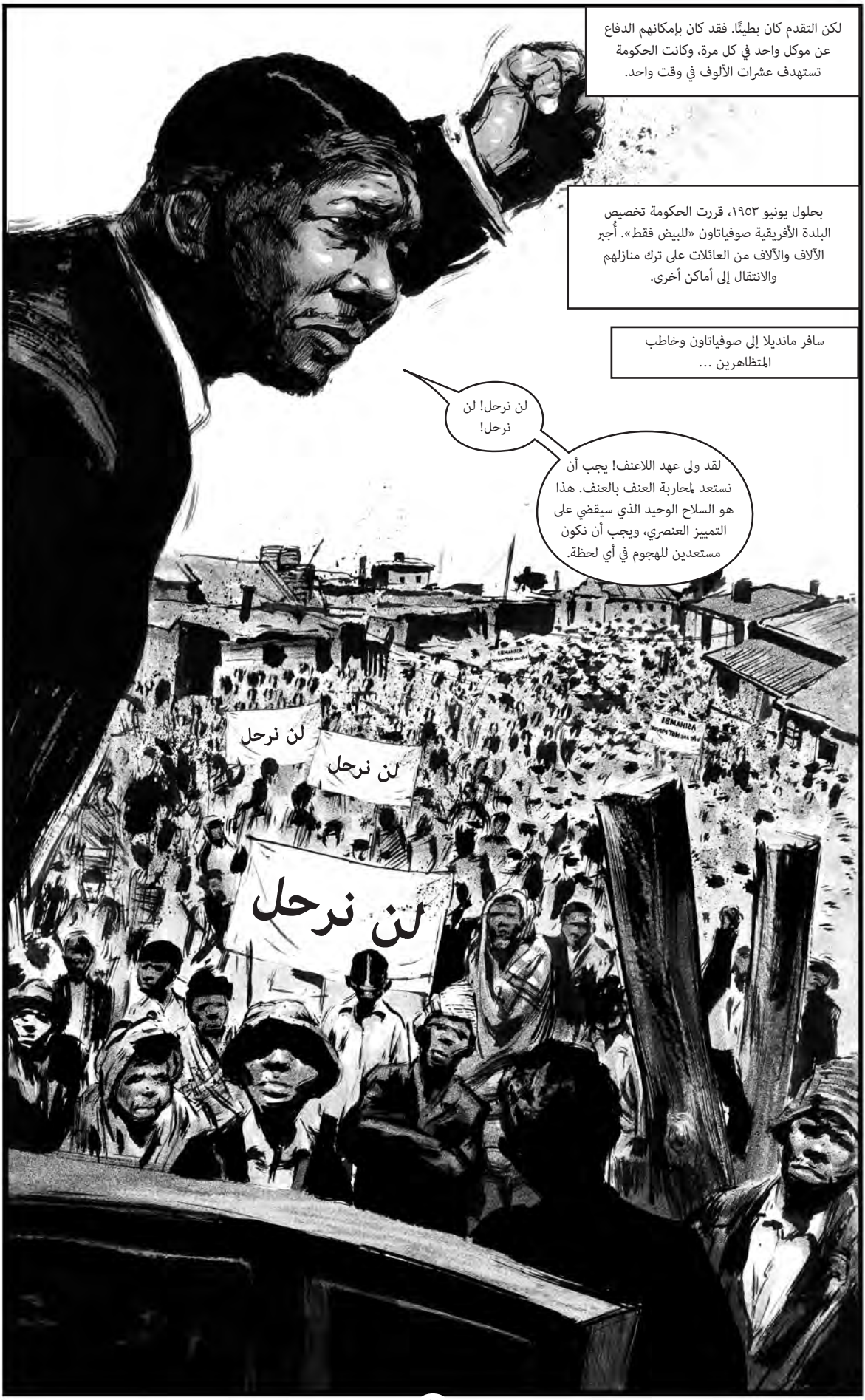
لكن التقدم كان بطيئًا. فقد كان بإمكانهم الدفاع عن موكل واحد في كل مرة، وكانت الحكومة تستهدف عشرات الألوف في وقت واحد.
بحلول يونيو ١٩٥٣، قررت الحكومة تخصيص البلدة الأفريقية صوفياتاون «للبيض فقط». أُجبر الآلاف والآلاف من العائلات على ترك منازلهم والانتقال إلى أماكن أخرى.
سافر مانديلا إلى صوفياتاون وخاطب المتظاهرين ...
لن نرحل! لن نرحل!
لقد ولى عهد اللاعنف! يجب أن نستعد لمحاربة العنف بالعنف. هذا هو السلاح الوحيد الذي سيقضي على التمييز العنصري، ويجب أن نكون مستعدين للهجوم في أي لحظة.
لن نرحل
لن نرحل
لن نرحل

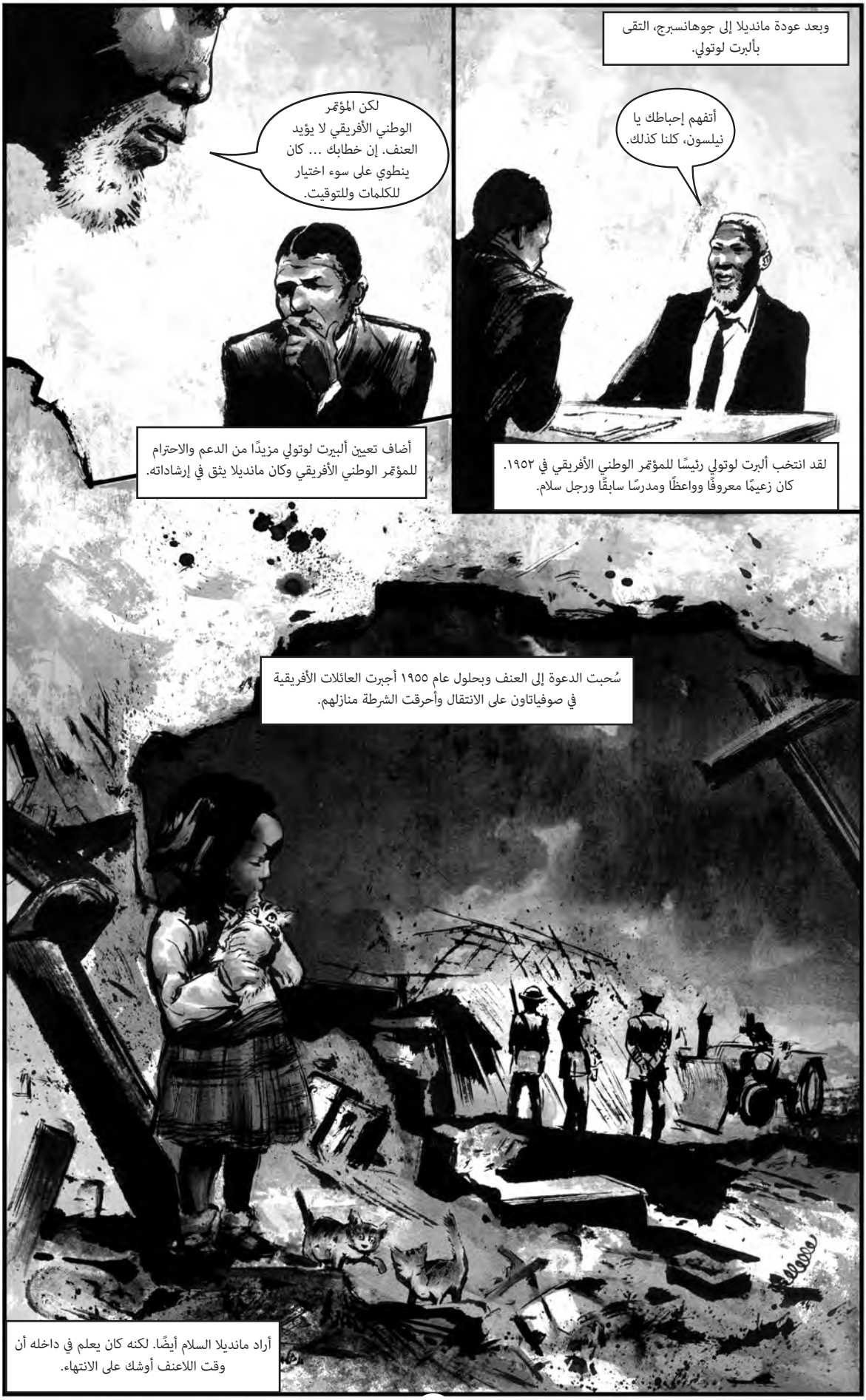
وبعد عودة مانديلا إلى جوهانسبرج، التقى بألبرت لوتولي.
أتفهم إحباطك يا نيلسون، كلنا كذلك.
لقد انتخب ألبرت لوتولي رئيسًا للمؤتمر الوطني الأفريقي في ١٩٥٢. كان زعيمًا معروفًا وواعظًا ومدرسًا سابقًا ورجل سلام.
لكن المؤتمر الوطني الأفريقي لا يؤيد العنف. إن خطابك ... كان ينطوي على سوء اختيار للكلمات وللتوقيت.
أضاف تعيين ألبرت لوتولي مزيدًا من الدعم والاحترام للمؤتمر الوطني الأفريقي وكان مانديلا يثق في إرشاداته.
سُحبت الدعوة إلى العنف وبحلول عام ١٩٥٥ أجبرت العائلات الأفريقية في صوفياتاون على الانتقال وأحرقت الشرطة منازلهم.
أراد مانديلا السلام أيضًا. لكنه كان يعلم في داخله أن وقت اللاعنف أوشك على الانتهاء.

لمنع مانديلا من حشد شعب جنوب أفريقيا منعته الحكومة من دخول جوهانسبرج طوال العامين السابقين.
في سبتمبر ١٩٥٥، بعد انتهاء مدة الحظر قرر زيارة عائلته في كونو، القرية التي شهدت طفولته.
أمي. أمي، استيقظي.
روليهلاهلا! أنت هنا! لا أصدق أنك هنا! كيف حالك؟ أخبرني «بكل شيء»!
أنا بخير يا أمي لكني سأبقى هنا فترة قصيرة.
ثيمبي وماكجاثو يحبان اللعب، يذهبان للعدو معي وماكازيوي الصغيرة كالملاك.
كيف حال أحفادي؟ أريد أن أعرف كل شيء عنهم.
ولدت ابنته بوملا ماكازيوي مانديلا في العام السابق في ١٩٥٤.
أمي، لم أحضر للزيارة فقط. أود أن تأتي إلى جوهانسبرج للعيش معي.
أتفهم مشاعرك يا روليهلاهلا لكني آسفة. هذه هي دياري. لا أستطيع مغادرة كونو.

من كونو، سافر مانديلا إلى مكيكزويني.
أراد أن يرى أمه بالتبني، نكوسيكازي نو إنجلاند.
نيلسون! نيلسون، هل هذا أنت حقًّا؟
نعم أنا. من الرائع رؤيتك بعد هذا الوقت الطويل.
اركب السيارة. يجب أن نزور باقي العائلة.
زيارة باقي العائلة يمكنها أن تنتظر. لقد انتصف الليل. وأنت لا ترتدين ملابس مناسبة. لم لا ...
لا، لا يمكن تأجيلها. لقد عدت. أنت في ديارك ويجب أن نحتفل.
كان مانديلا قد اشتاق إلى عائلته، وللحظات اجتماعهم القصيرة سواء أكانت في مكيكزويني أم في كونو أم ...

... في منزله في جوهانسبرج.
ولماذا تحتاج هذا المال يا ماكجاثو؟
أريد الذهاب للسباحة. هذا ثمن الدخول إلى المسبح.
لقد حصلت على المال. لنذهب!
كان مانديلا يعلم أن ابنه يكذب بشأن تكاليف للسباحة. لذا تبعه.
ماكجاثو!
لماذا كذبت علي؟ ما السبب الحقيقي الذي أخذت من أجله المال؟ أجبني.
كان من أجل المسبح يا أبي. لا يستطيع صديقي تحمل التكلفة، لذا أردت اصطحابه معي.
أنا فخور بك لاهتمامك بصديقك. لكن لماذا تكذب بشأن أمر كهذا؟
يجب ألا تخاف أبدًا من الحقيقة يا ماكجاثو، «أبدًا».

كان مانديلا يتوق إلى أن يتسنى له تعليم أولاده وتوجيههم، وإلى رؤيتهم يعيشون الحرية التي حلم بها.

أبي، لم أرَ هؤلاء الرجال يأتون لزيارتك أبدًا! من هم؟ لماذا نعلق صورهم على الحائط؟

أعلق صورهم لأنهم رجال عظماء وأصحاب إنجازات.

كان فرانكلين روزفيلت رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية من ١٩٣٣ حتى ١٩٤٥. قاد بلده لعبور أحلك الأوقات عندما كان الملايين عاطلين وفاقدين الأمل تمامًا.

كان ونستون تشرشل رئيس وزراء إنجلترا لفترتين. وقد قاد أمته أثناء الحرب العالمية الثانية، معاديًا هؤلاء الذين أرادوا غزو أوروبا.

قبل أن يتولى جوزيف ستالين قيادة الاتحاد السوفييتي، كرّس نفسه لتحسين ظروف معيشة الطبقة العاملة.

وغاندي ... موهانداس كرمشاند غاندي كان يومًا ما محاميًا في بلدنا. ساعد الهند في الحصول على الحرية، وقد حقق ذلك بطرق سلمية. لقد جازف بكل شيء من أجل تحرير شعبه.

٥ ديسمبر ١٩٥٦.
نيلسون مانديلا، لدينا إذن بتفتيش منزلك والقبض عليك.
أنت متهم بالخيانة العظمى. وستحضر معنا الآن.
إذن بتفتيش
أبي، لا!
ستكون الأمور بخير يا ثيمبي. كل شيء سيكون على ما يرام.
في خلال أسبوع، قُبض على ١٥٦ شخصًا في إطار حملة لفرض النظام على مستوى البلاد.
لحق بمانديلا سيسولو وتامبو ولوتولي وتقريبًا كل من كان له دور قيادي في النضال من أجل الحرية، بصرف النظر عن العرق.
لقد اعتقلوا إسماعيل مير أيضًا، وجو سلوفو وروث فيرست. لقد قبضوا علينا جميعًا.
تم ترحيلهم إلى سجن جوهانسبرج وأُجبروا على خلع ملابسهم والوقوف في البرد. كانوا رجالًا محترمين ومحترفين وكانوا يعاملون ...

١٩ ديسمبر ١٩٥٦.
... كالحيوانات! هؤلاء الرجال بشر ويستحقون معاملة إنسانية. يا له من عار!
هرع برام فيشر الذي كان صديقًا لمانديلا في الجامعة مجددًا للدفاع عنه؛ مع فريق من المحامين المتفرغين للقضية.
كان قفصًا قد شُيد لإبقاء المدعى عليهم بمعزل عن الجميع. وقد ضمن القفص فصلهم حتى عن فيشر وبقية فريق الدفاع.
خطرون، رجاء عدم إطعامهم
يجب أن يُزال هذا القفص الآن وإلا سنخرج في مظاهرة. لم يسبق لي رؤية شيء كهذا في محكمة من قبل.
كانت هذه المحاكمة تمهيدية. بحيث إذا وُجدت أدلة كافية ضدهم، كانت القضية ستُحال إلى المحكمة العليا ويحتمل أن يواجهوا العقوبة القصوى ... الإعدام!
رجاءً حافظ على النظام في المحكمة! سيُزال القفص. يجب أن نستأنف وقائع الجلسة.

يناير ١٩٥٧.
إفيلين، لقد عدت. ما زالت المحاكمة مستمرة لكن أُفْرِجَ عنا بضمان مالي. لقد ...
كانت إفيلين قد رحلت. أخذت أمتعتها والأولاد وانتقلت للعيش مع عائلتها.
كانت متطلبات عمل مانديلا المتواصلة قد شكلت ضغطًا على زواجهما لفترة. لكن مع خضوع ١٥٥ رجلًا آخر الآن للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى، لم يتمكن مانديلا حتى من التفكير في التخلي عنهم.
يومًا بعد يوم عاد المتهمون للمحاكمة واستمعوا إلى لفيف من الشهود «الخبراء» وهم يحنثون بالقسم.
وكانت مهمة محاميّ الدفاع مثل فيرنون بيرانج فضح تلك الأكاذيب.
أنت تزعم أنك سمعت ولتر سيسولو يدبر لقتل أشخاص بيض ... لكن وقت حدوث هذا الاجتماع المزعوم، ألم تكن مسجونًا بتهمة الاحتيال؟
استمرت المحاكمة أكثر من عام، وبدأ المتهمون الضجرون يشغلون وقتهم بأشياء أخرى.
بحلول يناير ١٩٥٨، أسقطت التهم عن واحد وستين شخصًا بدون تفسير. لكن وجدت المحكمة أدلة كافية ضد مانديلا وبعض الآخرين لإحالة القضية إلى المحكمة العليا.

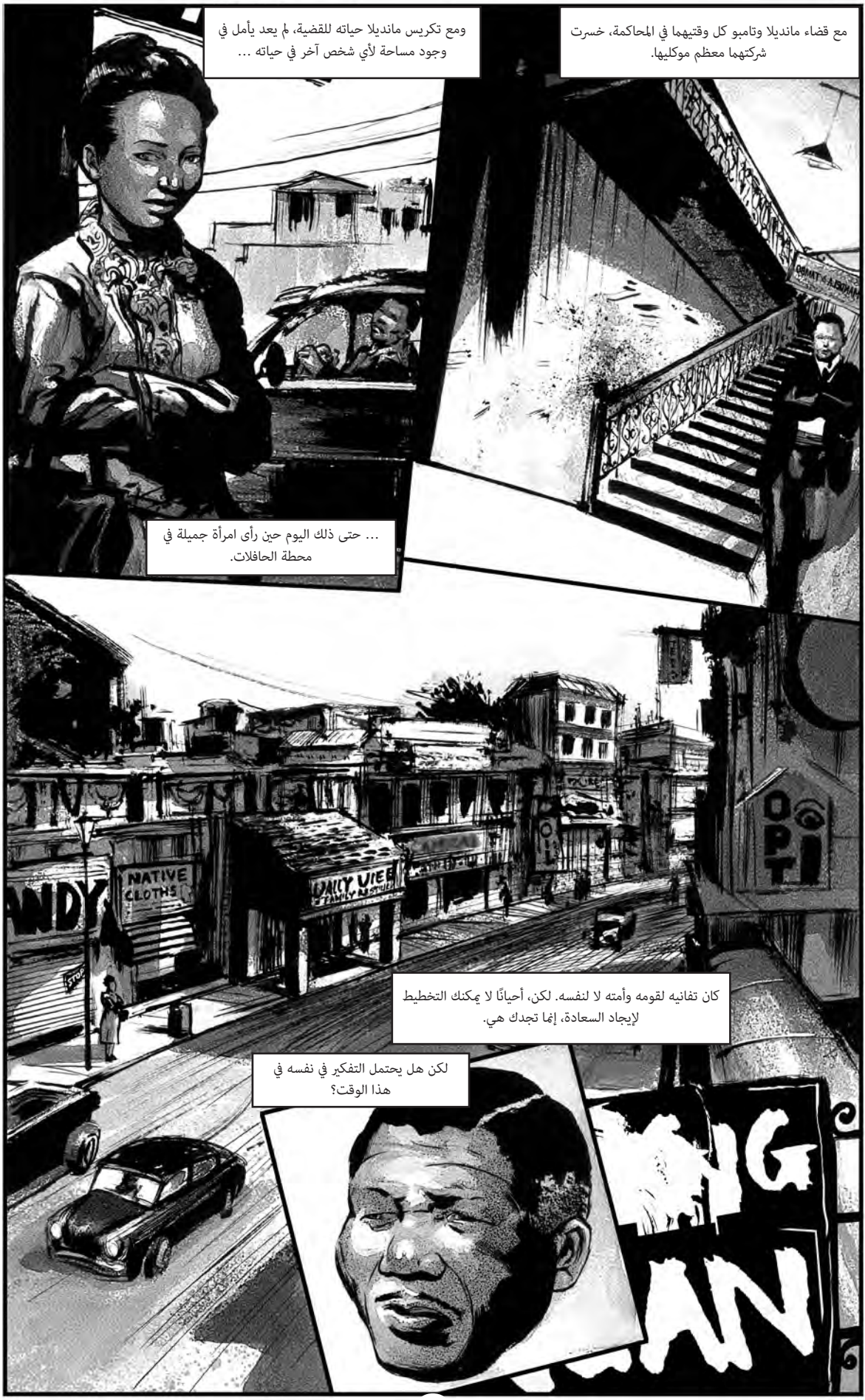
مع قضاء مانديلا وتامبو كل وقتيهما في المحاكمة، خسرت شركتهما معظم موكليها.
ومع تكريس مانديلا حياته للقضية، لم يعد يأمل في وجود مساحة لأي شخص آخر في حياته ...
... حتى ذلك اليوم حين رأى امرأة جميلة في محطة الحافلات.
NATIVE CLOTHS
كان تفانيه لقومه وأمته لا لنفسه. لكن، أحيانًا لا يمكنك التخطيط لإيجاد السعادة، إنما تجدك هي.
لكن هل يحتمل التفكير في نفسه في هذا الوقت؟

نيلسون؟ أنا مسرور لأني صادفتك. أيمكنك الاستغناء عن بعض النقود؟ لا أحمل معي الكثير، وتريد زوجتي وصديقتها تناول وجبة خفيفة.
كانت زوجة تامبو – أديليد - صديقة نومزامو وينيفريد ماديكزيلا أو ويني كما يناديها معارفها؛ هي المرأة الجميلة نفسها التي رآها مانديلا في محطة الحافلات قبل بضعة أيام.
كانت ويني موظفة خدمة اجتماعية في مستشفى براجوانث وكانت أول سيدة سوداء تشغل هذه الوظيفة.
في هذا اللقاء القصير على العشاء وقع الاثنان في الحب. وتزوجا في يونيو ١٩٥٨، بعد مرور أقل من ستة أشهر على لقائهما الأول.
أقيم الزفاف في بيزانا بجنوب أفريقيا، حيث ولدت ويني وتعيش معظم عائلتها. لكن معظم مراسم الاحتفال تمت بدونهم.
نظرًا لأن مانديلا كان لا يزال تحت الحظر، لم يُسمح له بالابتعاد عن جوهانسبرج سوى بضعة أيام. كان ذلك وقتًا كافيًا لإقامة الزفاف فقط لكن ليس لشهر العسل.

أكتوبر ١٩٥٨.

بعد أن عاد مانديلا إلى جوهانسبرج، اكتشف سريعًا أن زوجته الجديدة لم تكن متفانية له فقط ... لكن للقضية التي كان يدافع عنها أيضًا.

أنا ذاهبة غدًا يا نيلسون.

إلى أين؟

سأنضم للنساء الأخريات في احتجاج مكتب تصاريح الدخول.

لسنوات، كان مطلوبًا من الرجال الأفارقة فقط حمل تصاريح دخول طوال الوقت وإلا فكانوا يواجهون خطر الغرامات والحبس. الآن أصبحت هذه القوانين تطبق على النساء الأفارقة أيضًا.

إنه قرار شجاع يا ويني، لكن ...

... يمكن أن تُعتقلي. ويمكن أن تخسري وظيفتك. ولا يجب أن تنسي أنك حامل. قد تتعرضين لعواقب جسيمة.

أنا مدركة للعواقب يا نيلسون. لكن يجب أن أذهب.

اليوم التالي.

كوني حذرة يا ويني. أحبك.

أرادت زوجة ولتر سيسولو — ألبرتينا — المشاركة في الاحتجاج أيضًا، لذا ذهبتا معًا ووقف مانديلا يشاهد رحيل قطارهما.

كانت رؤيتها تعرض نفسها للخطر تشق كثيرًا على نفسه.

في اليوم الأول من الاحتجاج، قُبض على أكثر من ألف امرأة أفريقية لاعتراضهن على نظام تصاريح الدخول العنصري غير العادل.
إنهاء نظام التصاريح
المساواة للجميع
إنهاء نظام التصاريح
وبحلول اليوم الثاني، تضاعف هذا الرقم.
المساواة للجميع
تخلفت العديد من النساء عن الذهاب إلى العمل للانضمام إلى الاحتجاج، والنساء اللاتي لا يوجد من يهتم بأطفالهن أحضرنهم معهن.
لإظهار قوتهن وتفانيهن أمام الحكومة، وافقت النساء على تحمل أسبوعين في السجن قبل أن يطلق سراحهن بضمان مالي.
تم استدعاء مانديلا وتامبو للدفاع عنهن.
لقد خاطرتِ بمصلحتك الشخصية للاحتجاج على قوانين ظالمة. تطلّب ذلك شجاعة كبيرة وأنا فخور بك جدًّا يا ويني. سنخرجكن من هنا في غضون أيام قليلة.
بعد الأسبوعين المتفق عليهما، أُطلق سراح النساء بضمان مالي.

الرابع من فبراير ١٩٥٩.
دخول المرضى
ستكونين بخير يا ويني. أنا هنا، حسنًا؟
ويني، لقد تأخر اجتماعي و ...
نيلسووون!! أعتقد أن الوقت قد حان. إنه ألم المخاض!
أراد مانديلا أن يبقى بجانب ويني ...
... لكن لم يكن ذلك ممكنًا.
خروج
كان عليه العودة من أجل محاكمة الخيانة التي بدأت في ديسمبر ١٩٥٦ وكانت تنعقد الآن في بريتوريا التي تبعد ثمانية وخمسين كيلومترًا عن جوهانسبرج.
كان مانديلا مطالبًا بالحضور كل يوم. وكانت الحكومة عازمة على إنهاء احتجاجات مانديلا وحشوده ورؤيته خلف القضبان.
عندما انتهت وقائع جلسة المحكمة ذلك اليوم، كان مانديلا قد فاتته ولادة طفلته بالفعل.
أتريد لقاء ابنتك يا نيلسون؟ لقد سمّاها الزعيم زيناني. وسوف نناديها زيني اختصارًا.

في العاشر من مارس ١٩٦٠، أنهى المدعي العام قضيته أخيرًا.

ولكن في الحادي والعشرين من مارس — بمكان ليس ببعيد عن جوهانسبرج — تجمع آلاف المواطنين العزّل أمام مخفر الشرطة في شاربفيل في احتجاج سلمي.

أطلقت الشرطة النيران على مجموعة من الناس كان من بينهم نساء وأطفال. أُصيب المئات ولقي تسعة وستون شخصًا حتفهم.

تراجعوا!

أُصيب بعض الضحايا في ظهورهم أثناء فرارهم من الشرطة.

عندما سمع أعضاء المؤتمر الوطني الأفريقي بأخبار المذبحة ...

... اجتمعوا فورًا في منزل جو سلوفو للتخطيط لردهم.

ماذا ينبغي أن نفعل الآن؟

هذا اعتداء سافر! يجب أن نتصرف. لنبدأ بحرق تصاريح دخولنا. لن نسمح بعد الآن للحكومة بتحديد هوياتنا بتصريح دخول.

أنا أوافقك أيها الزعيم لوتولي. يجب أن نفعل شيئًا.

٢٦ مارس ١٩٦٠.

في ذكرى أولئك الذين قتلوا في شاربفيل. أدعوكم لحرق تصاريحكم.

في خلال يومين، أحرق مئات الآلاف من الناس تصاريحهم.

كان المؤتمر الوطني الأفريقي لا يزال يدعو للاحتجاجات السلمية، أملًا في الوصول لحل سلمي.

بينما كانت معظم المظاهرات سلمية، اندلعت بعض أعمال الشغب الصغيرة. وقررت الحكومة الرد — حتى ضد المتظاهرين السلميين — بطريقة أقل سلمية.

لقد أعلنوا حالة الطوارئ وطبقوا الأحكام العرفية.

أريدك أن ترحل يا أوليفر. أحتاج أن تترك البلاد.

لن أتخلى عن قومي. أنا ...

ستسوء الأمور أكثر يا أوليفر. أحتاج إلى أن أضمن استمرار كفاحنا.

سافر للخارج. واحرص على أن يعلم العالم بما يجري هنا. احصل على دعمهم.

لكن أيها الزعيم لوتولي، أنا ...

فقط اذهب يا أوليفر. سيقبضون علينا جميعًا الآن. ستسوء الأمور أكثر.

بعد أربعة أيام، الساعة الواحدة والنصف صباح الثلاثين من مارس ١٩٦٠، حل زوار على منزل مانديلا.
أنت رهن الاعتقال يا سيد مانديلا.
«أنا أطالب» برؤية إذن الاعتقال.
لا فائدة من الصياح. لسنا طوع أمرك لنجيب عليك.
إلى أين تأخذونه؟ إلى أين تأخذون زوجي؟!
لم يكن هناك إجابات.
اعتقل الآلاف عبر البلاد دون دليل. فُتِّشت المنازل بدون مذكرات، واحتُجز مواطنون أبرياء بدون محاكمات.
أُعلن المؤتمر الوطني الأفريقي منظمة غير قانونية ولم يعد مسموحًا لها بالعمل. غرقت البلاد في فوضى عارمة.

ومع ذلك استمرت محاولة إدانة مانديلا وزملائه بتهم الخيانة الزائفة.
لماذا لم يحضر الزعيم لوتولي؟ من المفترض أن ينهي شهادته؟
لقد اعتقل أمس، يا سيادة القاضي.
لم يعتقل الزعيم ألبرت لوتولي فقط. لكن ضربته الشرطة أيضًا أثناء اعتقاله. ولم تتوقف الإساءات عند ذلك الحد.
سيحتجزون نيلسون والبقية في السجن إلى أجل غير مسمى. هل سمعتِ أي شيء من ولتر يا ألبرتينا؟ أما من أخبار؟
لم أسمع الكثير يا ويني. ليست لديهم وسيلة للتواصل مع محاميهم. لذا يحاولون الدفاع عن أنفسهم في الوقت الحالي.
٣١ أغسطس ١٩٦٠.
بعد خمسة أشهر، أُنهيت حالة الطوارئ أخيرًا، وأطلق سراح مانديلا وزملائه.

في هذه الأثناء، ترك تامبو البلاد للحصول على الدعم من الخارج.

مع رحيل تامبو ووجود مانديلا في السجن بين الحين والآخر، اضطرا إلى إغلاق مكتبيهما.

مانديلا وتامبو

اضطر مانديلا إلى الاعتماد على أصدقائه لإيجاد أماكن حيث يمكنه مواصلة تقديم المشورة لموكليه.

فتح صديق عزيز يُدعى أحمد «كاثي» كاثرادا منزله لعمل مانديلا.

كان كاثرادا هنديًّا وليس أفريقيًّا لكنه كان مؤيدًا بشدة لكفاح أفريقيا من أجل التغيير.

ما احتمالات حصولي على بعض الخصوصية في منزلي يا نيلسون؟

ليس الليلة يا كاثي. العديد من الموكلين ينتظرون في غرفة نومك، لكن هناك فرصة ضئيلة أن يكون مطبخك فارغًا الآن.

كان مانديلا يحاول جاهدًا تخصيص وقت للأشخاص الذين يحبهم. في ديسمبر مرض ابنه الأصغر ماكجاثو وفي نفس الوقت تقريبًا كانت ويني على وشك أن تلد مجددًا.

ممنوع التدخين

سيكون ماكجاثو بخير. لا داعي للقلق.

تجاهل مانديلا أمر الحظر الأخير وقاد طوال الليل ليدخل ماكجاثو مستشفى في جوهانسبرج.

كانت هذه أخبارًا جيدة. لكن بينما تعجل مانديلا لإيصال ابنه إلى المستشفى، فاتته ولادة طفله الثاني، كانت ابنته زيندزيسوا.

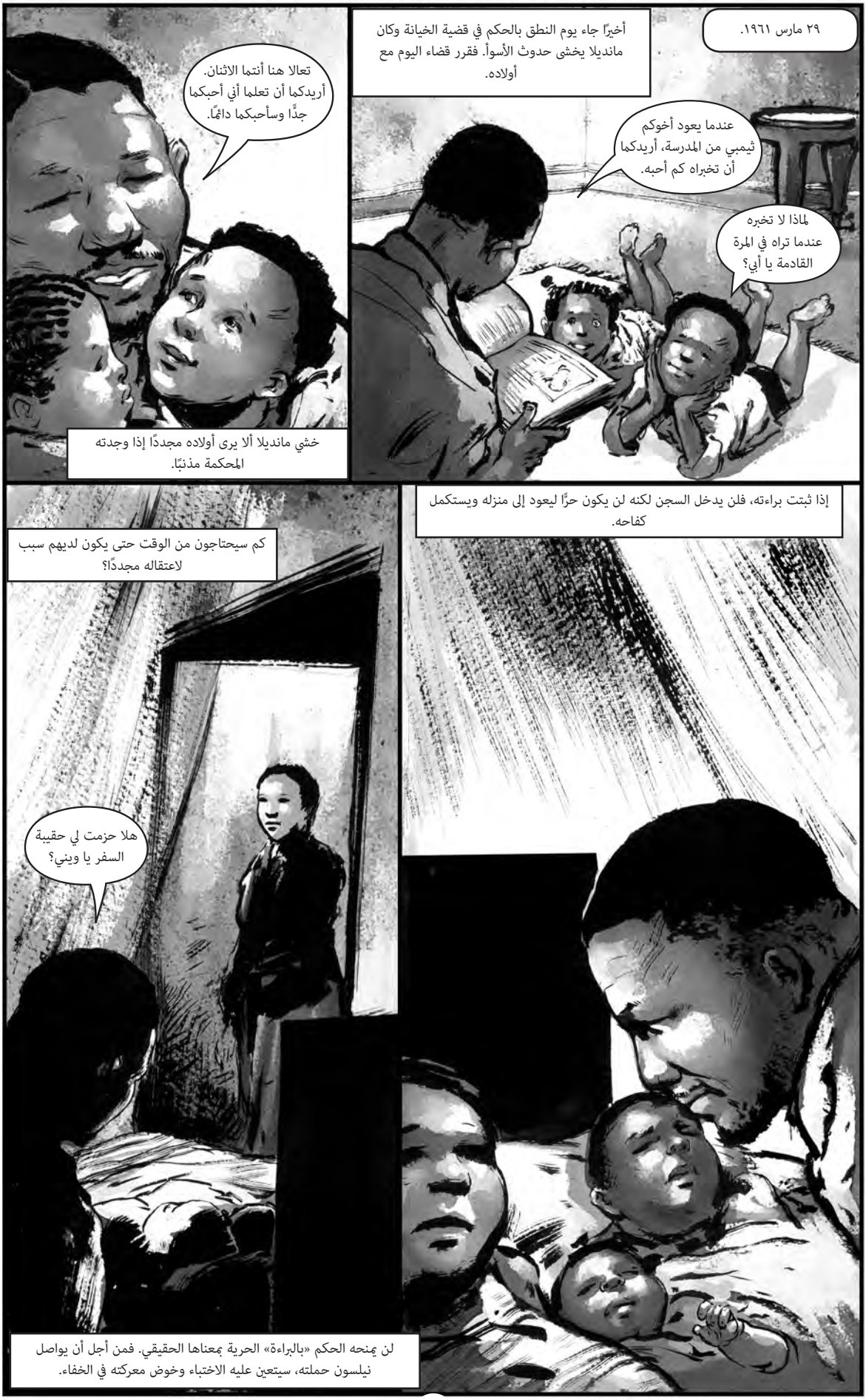
٢٩ مارس ١٩٦١.
أخيرًا جاء يوم النطق بالحكم في قضية الخيانة وكان مانديلا يخشى حدوث الأسوأ. فقرر قضاء اليوم مع أولاده.
عندما يعود أخوكم ثيمبي من المدرسة، أريدكما أن تخبراه كم أحبه.
لماذا لا تخبره عندما تراه في المرة القادمة يا أبي؟
تعالا هنا أنتما الاثنان. أريدكما أن تعلما أني أحبكما جدًّا وسأحبكما دائمًا.
خشي مانديلا ألا يرى أولاده مجددًا إذا وجدته المحكمة مذنبًا.
إذا ثبتت براءته، فلن يدخل السجن لكنه لن يكون حرًّا ليعود إلى منزله ويستكمل كفاحه.
كم سيحتاجون من الوقت حتى يكون لديهم سبب لاعتقاله مجددًا؟
هلا حزمت لي حقيبة السفر يا ويني؟
لن يمنحه الحكم «بالبراءة» الحرية بمعناها الحقيقي. فمن أجل أن يواصل نيلسون حملته، سيتعين عليه الاختباء وخوض معركته في الخفاء.

جاء الحكم لمصلحة مانديلا لعدم كفاية الأدلة.
لكن كان الجميع يعلم أنه سيحاكم مجددًا. لذا اختبأ مانديلا فورًا في منزل آمن في جوهانسبرج.
لم يعد في إمكانه أن يكون القائد الساحر الذي يبرز وسط أي حشد.
كان عليه أن يندمج وسط الجماهير. كان عليه أن يختفي. كان عليه أن يصبح غير مرئي.
أطلق مانديلا لحيته، وارتدى نظارات وكثيرًا ما كان يتنكر كسائق أو طاهٍ.
كان يظهر فقط من أجل اجتماعات المؤتمر الوطني الأفريقي السرية لتخطيط احتجاجات أو لحشد التأييد.
قال أحد الوزراء هذه الكلمات لي حديثًا، ولا أستطيع نسيانها.
قال إنه إذا لم يتمكن الرب من إرشادنا إلى خلاصنا قريبًا، فسيجب علينا أن نأخذ بزمام الأمور بأيدينا.
وبعد الاجتماعات كان يختفي مجددًا.

لقبته الصحافة بكزبرة الثعلب السوداء.

The Black Pimpernel Spotted Again!

في الساعات القليلة الماضية ظهرت عدة تقارير عن مكان نيلسون مانديلا. بالرغم من عدم وجود شهود للتأكيد على مكانه بالضبط، فإنه شوهد عدة مرات ليلة أمس. لا تزال دقة هذه المشاهدات قيد التحقيق، وتتردد أخبار عن إلقاء مانديلا خطابًا علنيًا في كيب تاون قبل بضعة أيام. (يُتبع في صفحة٢)

This month 31 people have died on W.P. roads

كان المؤتمر الوطني الأفريقي يخطط لاحتجاجات سلمية أخرى في التاسع والعشرين من مايو ١٩٦١. تطلب الاحتجاج من جميع العمال البقاء في منازلهم وعدم الذهاب إلى العمل.

كانت الحكومة قد أدركت أن احتجاجًا على وشك أن يحدث، وفي السابع والعشرين من مايو حشدت دبابات وطائرات هليكوبتر عسكرية. كانت التعبئة الأكبر من نوعها منذ الحرب العالمية الثانية.

وفي ٢٨ مايو بينما كان مانديلا يقود سيارته إلى المنزل الآمن في سويتو لإنهاء تفاصيل الاحتجاج مع قادة المؤتمر الوطني الأفريقي الآخرين ...

... قاد مانديلا سيارته مباشرة باتجاه حاجز للشرطة.

اخرج من السيارة الآن.

شرطة

من حسن حظ مانديلا أن الضابط لم يتعرف عليه.

أين تصريح دخولك؟

لقد تركته في المنزل سهوًا. لكن أستطيع إعطاءك رقم التصريح.

شرطة

اقتنع الضابط برقم التصريح المزيف وبعد تفتيش دقيق لسيارة مانديلا، تركه يذهب.

لم يحقق احتجاج التاسع والعشرين من مايو السلمي أي إنجاز يُذكر.

تعب مانديلا من الأساليب القديمة للقتال في سبيل تحقيق العدالة، لأنها لم تفلح؛ فلا شيء يتغير. بحلول شهر يونيو قرر انتهاج أسلوب جديد.

التخلي عن اللاعنف؟ لا أستطيع مساندتك في ذلك يا مانديلا. لا أستطيع.
من موزيس كوتاني، أحد قادة الحزب الشيوعي ...
... إلى الزعيم ألبرت لوتولي ...
لا، لا يمكننا التخلي عن اللاعنف.
... إلى صديق الجامعة القديم جيه إن سينج ...
اللاعنف لم يخذلنا. نحن الذين خذلنا اللاعنف.
رفض الجميع تقريبًا اقتراح مانديلا بالتخلي عن الطريقة السلمية.
قومنا يلجئون إلى العنف من تلقاء أنفسهم. لأنهم ساخطون.
ماذا سيحدث إذا لم نقدهم وننظمهم؟ المؤتمر الوطني الأفريقي الآن منظمة غير قانونية، لماذا إذن نتشبث بأساليب المعارضة القانونية؟
أنا لا اقترح القتل. بدلًا من الأرواح، يمكننا استهداف رموز القمع.سنستهدف المؤسسات الحكومية لا الأشخاص.
بعد عدة اجتماعات، تقرر أن يبقى المؤتمر الوطني الأفريقي ملتزمًا باللاعنف.
لذا قرر مانديلا أن يشق طريقه الخاص. بمساندة ولتر سيسولو وجو سلوفو، أصبح رئيسًا لمنظمة منفصلة تدعى «رمح الأمة».

أكتوبر ١٩٦١. مزرعة ليليزليف في ريفونيا بجنوب أفريقيا.

للتخطيط لعملهم، انتقل مانديلا إلى منزل أكثر أمانًا في مزرعة بضواحي جوهانسبرج. كانت ملكًا لحليف من الحزب الشيوعي وأصبحت مقرهم الرئيسي.

تنكر مانديلا تحت اسم ديفيد موتساماي وتظاهر بأنه حارس. لم يوفر هذا المكان لمانديلا مساحة للعمل فقط ...

... لكنه أتاح له فرصة رؤية عائلته أيضًا.

CHE GUEVARA

Fidel Castro

Mao Tse-Tung

أبي!

لا تتصورين كم من الرائع رؤيتكم يا عزيزتي. هل أنت متأكدة أنه لم يتبعكم أحد؟

أنا متأكدة. لقد بدلنا السيارات في الطريق إلى هنا. لم نر الشرطة على مرمى البصر.

لكن لم تتكرر الزيارات العائلية يوميًّا. فقد كان مانديلا مختبئًا لسبب. لقد أصبح الآن قائد «رمح الأمة»؛ الجناح العسكري للمؤتمر الوطني الأفريقي مما جعله هدفًا للحكومة.

بعد شهور من التخطيط، نفذت منظمة رمح الأمة أول أفعالها التخريبية في السادس عشر من ديسمبر ١٩٦١.

تم تفجير قنابل يدوية الصنع في جوهانسبرج وبورت إليزابيث وديربان.

كانت الأهداف مكاتب حكومية ومحطات طاقة كهربائية. الخسارة الوحيدة في الأرواح تمثلت في رجل المنظمة الذي لقي حتفه إثر انفجار القنبلة بين يديه.

أعلنت منظمة رمح الأمة مسئوليتها فورًا بتوزيع آلاف النشرات في أنحاء البلاد.

كانوا مقتنعين بأن أمامهم خيارين فقط، إما الاستسلام أو القتال.

أثبتت وقائع مثل واقعة شاربفيل أن الحكومة كانت على استعداد تام للاستجابة للمظاهرات السلمية بمذابح دموية. كان مانديلا يرى أن ذلك جعل القتال خيارهم الوحيد.

لكن مانديلا وزملاءه لم يتلقوا أي تدريب عسكري والأسوأ من ذلك، افتقارهم إلى المال. لقد كانوا بحاجة للمساعدة من أجل متابعة كفاحهم.

في خلال شهرين، كان ممثلو حركة الحرية من جميع أنحاء أفريقيا سيتجهون إلى مؤتمر في أثيوبيا. وأقنع أصدقاء مانديلا صديقهم بحضور المؤتمر ومحاولة الحصول على الدعم.

يناير ١٩٦٢.

وُضعت خطة.

كان ينبغي أن يكون ولتر هنا الآن يا كاثي.

كان على سيسولو تأمين وثائق السفر لتهريب مانديلا خارج البلاد.

لكنه اعْتُقل وهو في الطريق إلى مكان اللقاء.

لا نستطيع الانتظار أكثر من ذلك يا نيلسون. يجب أن نخرجك من جنوب أفريقيا.

لذا كان على أحمد كاثاردا القيام بترتيبات أخرى.

استقل مانديلا طائرة إلى السودان حيث استقبله في المطار وجه مألوف.

أوليفر!

نيلسون!

لم أكن متأكدًا من أنك ستأتي يا نيلسون. من الجيد رؤيتك مرة أخرى يا صديقي.

وأنت أيضًا يا أوليفر. هل توجد أي أخبار؟ هل حققت أي تقدم؟

أعمل على توطيد بعض العلاقات التي بنيتها في غانا ومصر وإنجلترا. آمل أن نحصل على الدعم الذي نحتاجه في هذا المؤتمر.

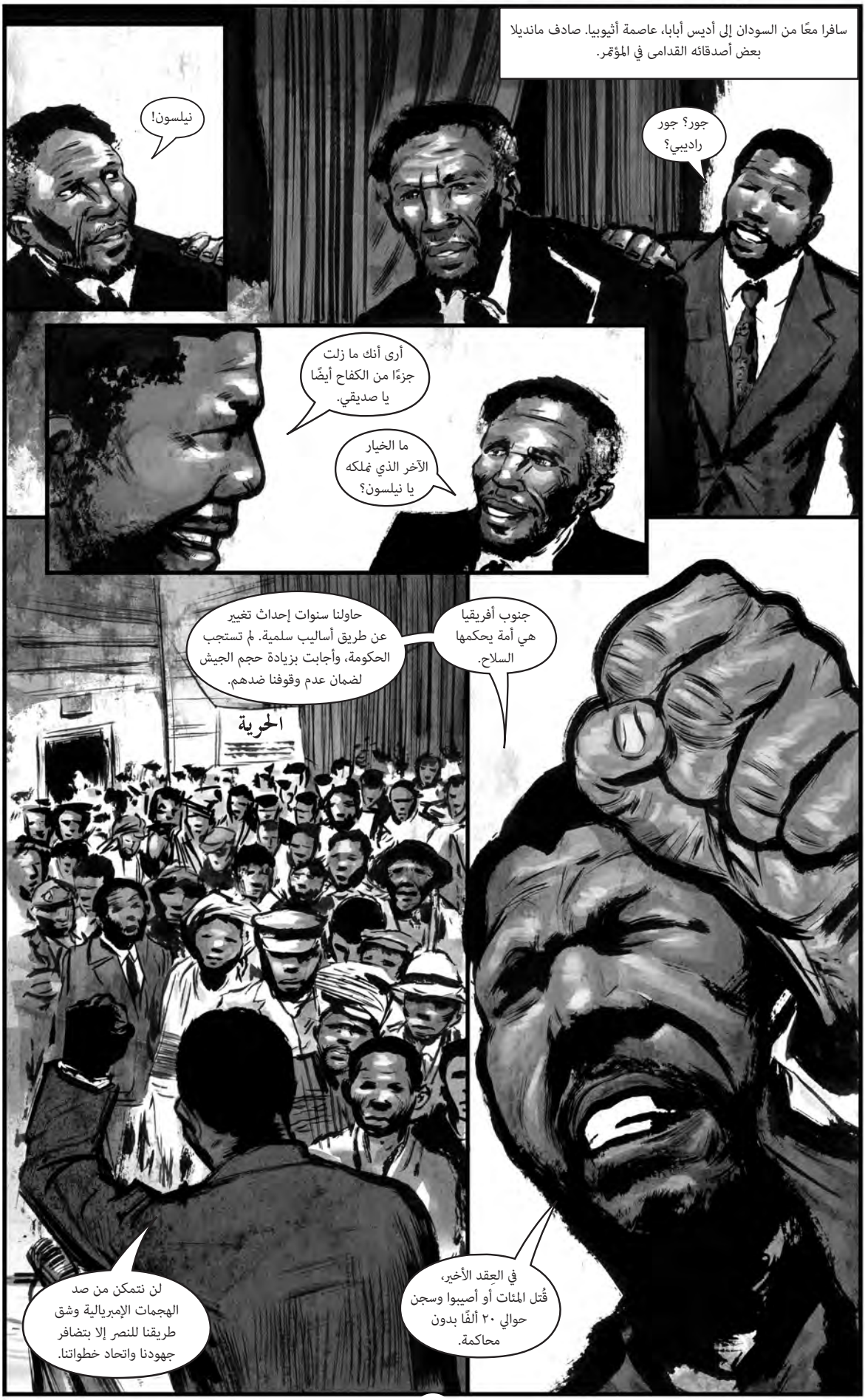
سافرا معًا من السودان إلى أديس أبابا، عاصمة أثيوبيا. صادف مانديلا بعض أصدقائه القدامى في المؤتمر.
جور؟ جور راديبي؟
نيلسون!
أرى أنك ما زلت جزءًا من الكفاح أيضًا يا صديقي.
ما الخيار الآخر الذي نملكه يا نيلسون؟
جنوب أفريقيا هي أمة يحكمها السلاح.
حاولنا سنوات إحداث تغيير عن طريق أساليب سلمية. لم تستجب الحكومة، وأجابت بزيادة حجم الجيش لضمان عدم وقوفنا ضدهم.
الحرية
في العِقد الأخير، قُتل المئات أو أصيبوا وسجن حوالي ٢٠ ألفًا بدون محاكمة.
لن نتمكن من صد الهجمات الإمبريالية وشق طريقنا للنصر إلا بتضافر جهودنا واتحاد خطواتنا.

بعد المؤتمر، جال مانديلا في القارة الأفريقية لنشر قضيته لحدود أبعد.

سافر من المغرب إلى الجزائر إلى سيراليون، والتقى بالكثير من رؤساء الدول.

في تونس، عرض عليه الرئيس الحبيب بورقيبة الدعم الفوري.

يمكننا منحك خمسة آلاف جنيه إسترليني* لشراء أسلحة. ويمكننا أيضًا المساعدة في تدريب رجالك.

*عملة جنوب أفريقيا.

في ليبيريا، أبدى الرئيس توبمان التعاطف نفسه.

نحن نساند قضيتك طبعًا يا سيد مانديلا. يمكننا منحك خمسة آلاف دولار* لشراء الأسلحة والتدريب.

*عملة ليبيريا.

وفي غينيا، تم ببساطة توصيل حقيبة سفر مليئة بالنقود إلى غرفة مانديلا في الفندق.

كان ذلك بالضبط نوع الدعم الذي يحتاجونه.

بعد حصول مانديلا على كل ذلك الدعم المادي، عاد إلى أثيوبيا في يونيو لبدء تدريبه العسكري.

لكن توقف التدريب بعد شهر عندما وصلت رسالة عاجلة.

كان الوضع في جنوب أفريقيا يتفاقم واستدعى الخطاب مانديلا للعودة إلى بلاده فورًا.

يوليو ١٩٦٢. مزرعة ليليزليف بريفونيا.
هأ هأ
الحكومة تعلم أنك عدت يا نيلسون. يجب أن تغير مظهرك مجددًا. على الأقل احلق لحيتك!
قضى مانديلا الأسبوعين التاليين في ريفونيا في اجتماعات مع قادة المؤتمر الوطني الأفريقي.
في الخامس من أغسطس، بدأ مانديلا وعضو من المؤتمر الوطني الأفريقي — سيسيل ويليامز — رحلة العودة إلى جوهانسبرج؟
أوقفتهم الشرطة التي كانت قد اكتشفت مكان وجوده.
ترددت شائعات بأن أحد حلفائه قد أفصح عن موقعه.
خبأ مانديلا مسدسه ودفتره في تنجيد مقاعد السيارة. كان يعلم أن أيامه كمحارب سري من أجل الحرية على وشك الانتهاء.
اسمي ديفيد موتساماي و ...

بالرغم من نصيحة مانديلا لسيسولو بالسعي للحصول على إطلاق سراح بضمان مالي، لم يسع هو من أجل حريته.

فقد كان يعلم أنه يواجه تهمًا بترك البلاد بدون أوراق رسمية، وتحريض العمال على الإضراب، وهذه على الأغلب أدلة كافية لإبقائه محبوسًا.

عند إخطار مانديلا بالتهم الموجهة إليه، لاحظ أن القاضي الأبيض والمحامين لم ينظروا إلى عينيه. تساءل هل ذلك نابع من شعورهم بالخزي.

ربما كانوا «أنفسهم» معارضين لما كانت تفعله الحكومة، وللقوانين التي طُلب منهم أن يدعموها.

ربما لا يزال بإمكانه تغيير أمته من خلف القضبان، بأن يكون رمزًا للاضطهاد والظلم.

بدأت جلسات الاستماع في أكتوبر ١٩٦٢ في بريتوريا. دخل مانديلا المحكمة في اليوم الأول، غير مرتدي بذلة ورابطة عنق، لكن مرتديًا ملابس قومه.

مثّل نفسه ولم يستدع أي شهود في دفاعه. فقط اكتفى بقول الحقيقة.

طوال المحاكمة، غمر المتظاهرون الشوارع خارج المحكمة. ولأول مرة أوصت الأمم المتحدة بفرض عقوبات على جنوب أفريقيا.

حرروا مانديلا

حرروا مانديلا

القوة! القوة!

لقد وقفت ضد الظلم. لست مذنبًا بأي جريمة.

حتى السيد بوش، النائب العام كان يعلم أن العدالة لم تكن تأخذ مجراها.

أحتقر ما أفعله يا مانديلا. يؤلمني أن أطلب من المحكمة إحالتك إلى السجن.

شكرًا. لن أنسى أبدًا ما قلته.

أتمنى أن تنتهي قضيتك على خير.

القوة!

حُكم على مانديلا بالسجن خمس سنوات دون إمكانية إطلاق السراح المشروط؛ كان ذلك أقسى حكم يصدر في قضية سياسية على الإطلاق. وقد أدلى بتصريح واحد في قاعة المحكمة المزدحمة.

القوة! القوة!

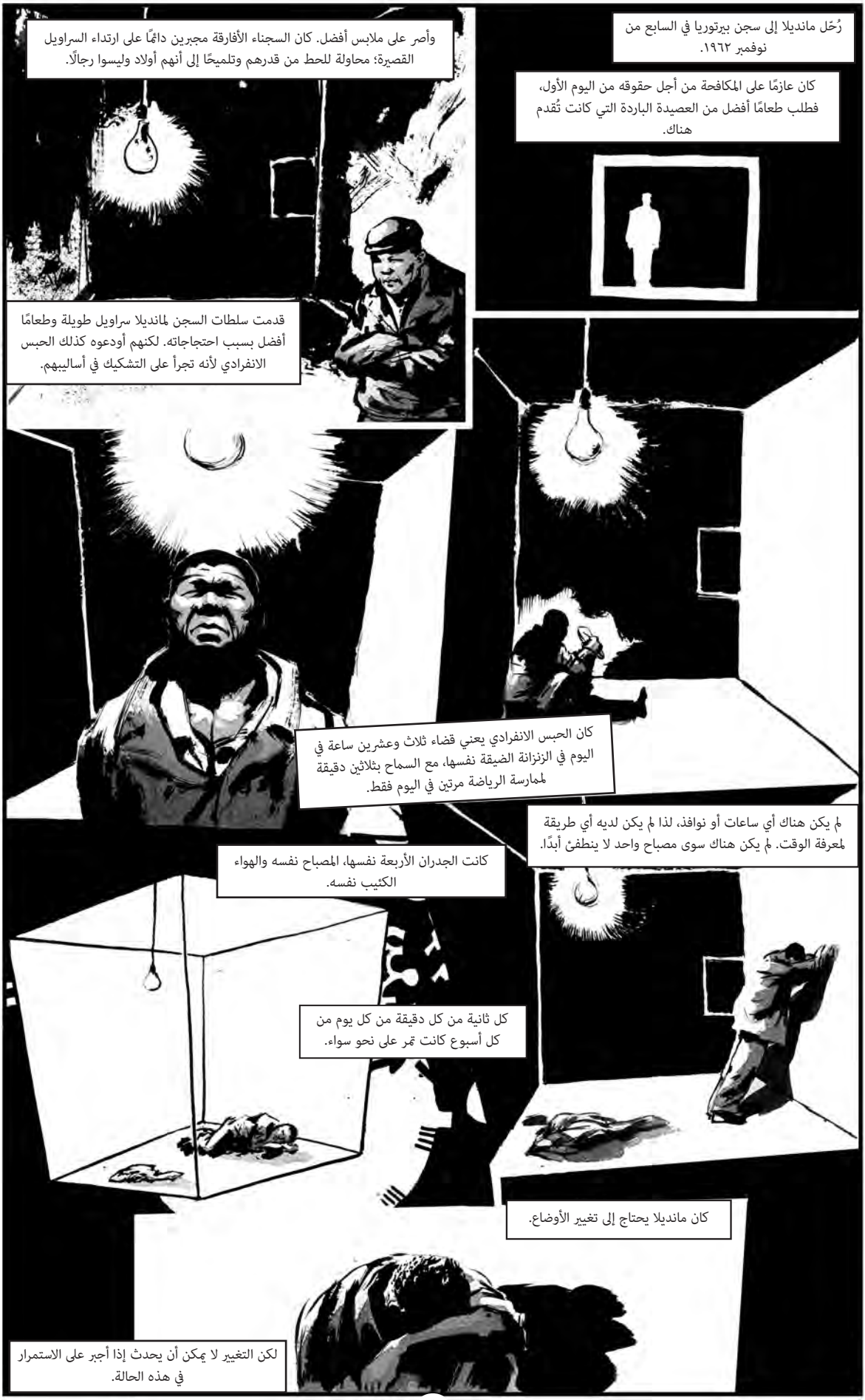
رُحّل مانديلا إلى سجن بيرتوريا في السابع من نوفمبر ١٩٦٢.
كان عازمًا على المكافحة من أجل حقوقه من اليوم الأول، فطلب طعامًا أفضل من العصيدة الباردة التي كانت تُقدم هناك.
وأصر على ملابس أفضل. كان السجناء الأفارقة مجبرين دائمًا على ارتداء السراويل القصيرة؛ محاولة للحط من قدرهم وتلميحًا إلى أنهم أولاد وليسوا رجالًا.
قدمت سلطات السجن لمانديلا سراويل طويلة وطعامًا أفضل بسبب احتجاجاته. لكنهم أودعوه كذلك الحبس الانفرادي لأنه تجرأ على التشكيك في أساليبهم.
كان الحبس الانفرادي يعني قضاء ثلاث وعشرين ساعة في اليوم في الزنزانة الضيقة نفسها، مع السماح بثلاثين دقيقة لممارسة الرياضة مرتين في اليوم فقط.
لم يكن هناك أي ساعات أو نوافذ، لذا لم يكن لديه أي طريقة لمعرفة الوقت. لم يكن هناك سوى مصباح واحد لا ينطفئ أبدًا.
كانت الجدران الأربعة نفسها، المصباح نفسه والهواء الكئيب نفسه.
كل ثانية من كل دقيقة من كل يوم من كل أسبوع كانت تمر على نحو سواء.
كان مانديلا يحتاج إلى تغيير الأوضاع.
لكن التغيير لا يمكن أن يحدث إذا أجبر على الاستمرار في هذه الحالة.

بعد بضعة أسابيع في الحبس الانفرادي، قرر مانديلا قبول السراويل القصيرة والعصيدة الباردة، والقيام بالأعمال الوضيعة. أي شيء كان أفضل من الحبس الانفرادي.
قضى مانديلا سبعة أشهر من عقوبة الخمس سنوات في سجن بريتوريا، ثم قررت السلطات أن الوقت قد حان للتغيير.
احزم أشياءك. سترحل!
لأني أمرت بذلك.
لماذا؟
قُيد مانديلا إلى ثلاثة سجناء آخرين وصعدوا على متن مركب.
إلى أين يأخذوننا؟
هذه هي الجزيرة. حيث ستموتون!

كان قد نُقل إلى جزيرة روبين، أكثر السجون قسوة في البلاد. لكنه كان عازمًا على المقاومة مهما يكن الأمر.
جزيرة روبين
تحركوا! تحركوا! تحركوا!
عندما أُمر أن يسرع الخطى، أبطأ مانديلا في مشيه.
ستنفذ ما تُؤمر به، وإلا سنجعل حياتك هنا بائسة!
بعد ساعات، غضب حارس آخر من عدم احترام مانديلا للسلطة وكان على وشك ضربه.
لديكم واجبكم ولدينا واجبنا.
لو لمستني، فسأقاضيك أمام أعلى محكمة في البلاد. لن يتبقى لك شيء عندما أنتهي منك.
كانت سلطات السجن تعلم من يكون مانديلا بالضبط. فقد أصبح في ذلك الوقت رمزًا وطنيًّا ومحاميًا محترمًا. وخوفًا من العواقب، أمروا الحراس بعدم لمسه.

بحلول يوليو أُعيد مانديلا إلى بريتوريا. كانت الحكومة تقبض عليهم واحدًا تلو الآخر.

اعتقل سيسولو وكاثرادا أيضًا، ولسوء الحظ، لم يقتصر الأمر على الاثنين فقط.

19
20
21
مرحبًا يا نيلسون. كنت أتمنى أن أقول إننا مسروران لرؤيتك.

اعْتُقل قادة رمح الأمة مثل جوفان مبيكي وأندرو ملانجيني وريموند مهلابا أيضًا. وكذلك بعض من حلفائهم في الحزب الشيوعي مثل راستي بيرنستين ومحامون مثل جيمي كانتور؛ الرجال الذين حاربوا معهم سنوات.

21
23
24
25
26

كانت القائمة «طويلة».

لقد وجدت الشرطة ريفونيا، يا سيد مانديلا. وجدوا أسلحتكم وخططكم التخريبية. لقد انتهى الأمر.

ستُتَّهمون جميعًا بالتخريب. وستواجهون كلكم الآن «عقوبة الإعدام».

كانت محاكمة ريفونيا — كما عرفت بعد ذلك — تمامًا مثل محاكمة الخيانة السابقة.

شهدت مماطلة لا نهاية لها، حيث بدأت في أكتوبر ١٩٦٣ واستمرت شهورًا.

مجددًا، هرع برام فيشر وفريق من محاميّ الدفاع لمساعدة المقدمين للمحاكمة.

سيدي المدعي العام، أنت تتهم موكليَّ بارتكاب ١٩٩ فعلًا تخريبيًّا عنيفًا.

لكن واحدًا من موكليني — وهو نيلسون مانديلا — كان في سجن بريتوريا عندما وقع ١٥٦ من هذه التهم.

كانت معظمها ادعاءات مزيفة بأدلة قليلة أو بدون أدلة.

هلا وضحت للمحكمة كيف يمكن ذلك؟

لم يملك الادعاء إجابة مرة أخرى.

أسقطت المحكمة التهم التي علمت أنها لن تثبتها، ثم أعادت القبض على الرجال بتهم جديدة.

سنبدأ وقائع الجلسة الجديدة للقضية التي ترفعها الدولة ضد نيلسون مانديلا وآخرين. استدع الشاهد الأول.

حتى بعض المسئولين عن إدانة مانديلا كانوا يشعرون بالاشمئزاز من الموقف.

سأستقيل من وظيفة المدعي العام اليوم. لا أستطيع أن أكون جزءًا من هذه المسرحية. حظًا سعيدًا يا سيد مانديلا. أتمنى أن تفوز.

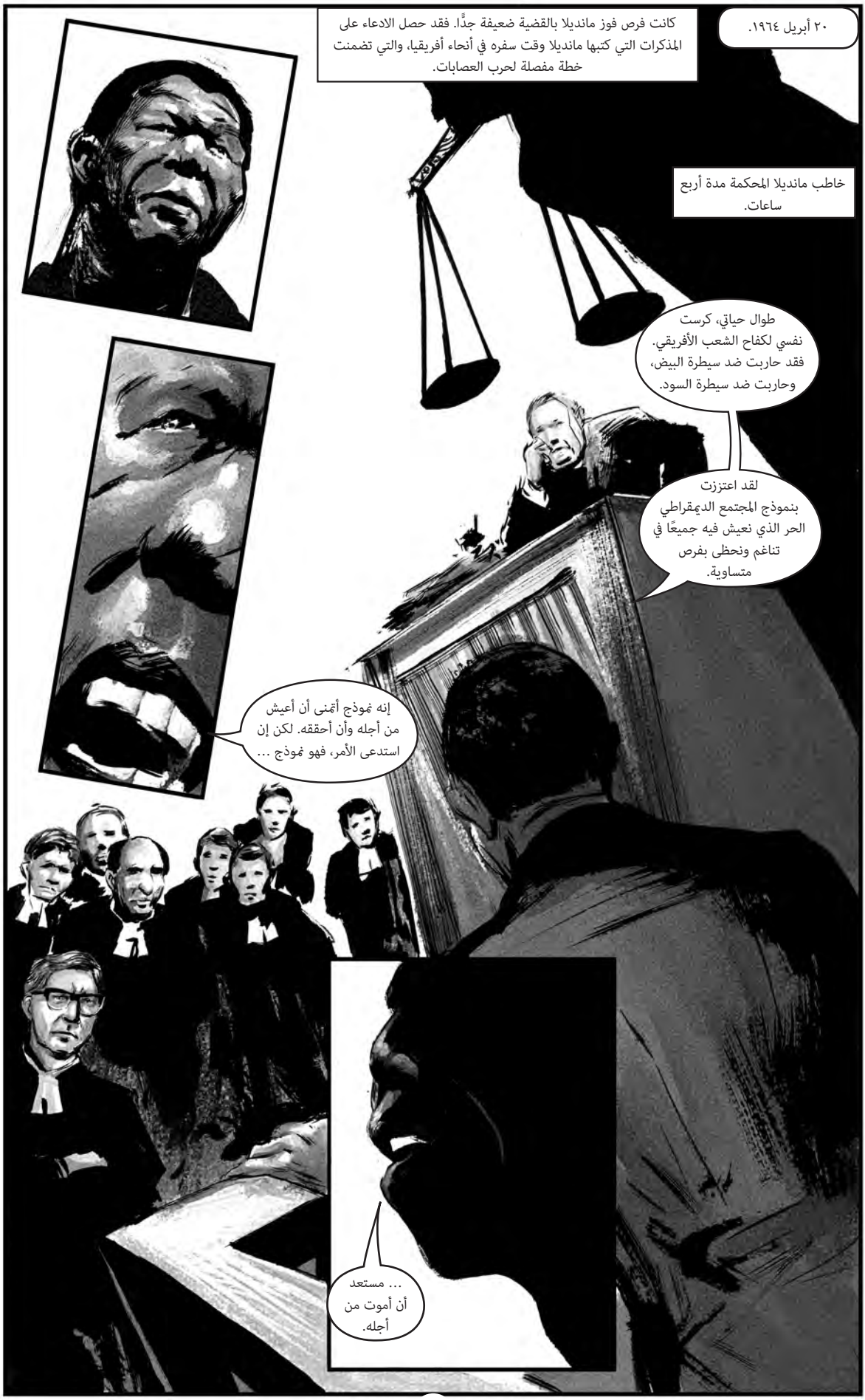
٢٠ أبريل ١٩٦٤.
كانت فرص فوز مانديلا بالقضية ضعيفة جدًّا. فقد حصل الادعاء على المذكرات التي كتبها مانديلا وقت سفره في أنحاء أفريقيا، والتي تضمنت خطة مفصلة لحرب العصابات.
خاطب مانديلا المحكمة مدة أربع ساعات.
طوال حياتي، كرست نفسي لكفاح الشعب الأفريقي. فقد حاربت ضد سيطرة البيض، وحاربت ضد سيطرة السود.
لقد اعتززت بنموذج المجتمع الديمقراطي الحر الذي نعيش فيه جميعًا في تناغم ونحظى بفرص متساوية.
إنه نموذج أتمنى أن أعيش من أجله وأن أحققه. لكن إن استدعى الأمر، فهو نموذج ...
... مستعد أن أموت من أجله.

كان العالم قد بدأ يعير الموقف انتباهًا. وهددت نقابات عمال السفن في العالم بمقاطعة كل بضائع جنوب أفريقيا.

حتى الأمم المتحدة دعت إلى الإفراج عن كل المقدمين للمحاكمة. لكن جنوب أفريقيا أصرت على موقفها.

حرروا مانديلا

حرروا

حرروا مانديلا

حرروا مانديلا

ومع ذلك فشل نظام العدالة مجددًا. في الحادي عشر من يونيو ١٩٦٤، ثبتت إدانة المتهمين، وحُكم عليهم في اليوم التالي.

الرحمة «الوحيدة» التي سأمنحها لكم هي تجنيبكم عقوبة الإعدام.

حُكم على ثمانية رجال في هذا اليوم بالسجن مدى الحياة بدون إطلاق سراح مشروط. كادت تلك تكون أخبارًا سارة حيث توقع الكثير منهم الحكم عليهم بالإعدام.

أُحيل دينيس جولدبيرج، حليف المؤتمر الوطني الأفريقي والناشط السياسي والرجل الأبيض الوحيد الذي ثبتت إدانته إلى سجن بريتوريا ...

وكان مانديلا وسيسولو وكاثرادا وجوفين مبكي سيسجنون مع ريموند مهلابا وإلياس موتسوليدي وأندرو ملانجيني.

الحياة! تحيا الثورة!

وكانوا من المقرر أن يقضوا بقية حياتهم في جزيرة روبين.

كانت جزيرة روبين قد تغيرت منذ إقامة مانديلا القصيرة في العام السابق. فقد بُني قسم جديد للسجناء السياسيين.

كان مانديلا وحلفاؤه يُحبسون بمعزل عن الألف سجين الآخرين.

كانوا يُعتبرون أكثر خطورة من القتلة لأنهم يحظون بقوة وشجاعة لا تنكسر.

كانوا زعماء يتمتعون بالقدرة على حشد الرجال. وظنت سلطات السجن أنهم يحولون دون وقوع مشاكل بفصلهم عن السجناء الآخرين. ما لم يدركوه هو أن إبقاء السبعة بعضهم مع بعض سيجعلهم أقوى.

عودوا إلى زنازينكم.

كانت اللافتة المعلقة خارج زنزانة مانديلا تعني أنه السجين رقم ٤٦٦ الذي دخل جزيرة روبين في ١٩٦٤.

ن. مانديلا
٦٤/٤٦٦

كانت زنزانة يقل اتساعها عن مترين ذات نافذة صغيرة مغلقة بقضبان تطل على الفناء.

كانت هناك حصيرة واحدة من القش للنوم وبعض البطاطين ولا شيء آخر.

كان اليوم في جزيرة روبين يبدأ برنين الجرس في الخامسة والنصف صباحًا.
لم تشتمل الزنازين على مراحيض وكان السجناء يضطرون إلى استخدام دلاء حديدية.
كل يوم في السابعة إلا الربع صباحًا كان يُسمح لهم بالخروج لتنظيف دلائهم.
كان الفطور دائمًا عصيدة ذرة تُسلم عبر القضبان وتؤكل في الزنزانة. وكانت القهوة تُصنع من طحين الشوفان المحروق.
كان الغداء ذرة مسلوقة. ولم يكن هناك أي تغيير. لا تنوع.
كانوا يمضون اليوم كله يسحقون الحجارة إلى حصى. ويقومون بذلك يومًا بعد يوم.
في الرابعة عصرًا، يمنحون ثلاثين دقيقة لتنظيف القذارة والحصى بالاستحمام بمياه البحر الباردة.
في الثامنة مساءً يؤمرون بالنوم.
ويتبع ذلك عشاء مكون من عصيدة الذرة ... مجددًا.
وفي نهاية كل ليلة، يطمئنون أنفسهم إلى أن الحرية ستتحقق يومًا ما.

أغسطس ١٩٦٤.
كل السجناء السياسيين كانوا مصنفين ضمن المجموعة «د»، مما يعني أنهم يتلقون أقل الامتيازات بين المساجين.
الزائرون دون سن السادسة عشرة لم يكن يسمح لهم بالدخول إلى السجن، مما يعني أن مانديلا لن يتمكن من رؤية أصغر بناته لأكثر من عقد.
كان يسمح لمانديلا بزائر واحد كل ستة أشهر لمدة لا تزيد عن ثلاثين دقيقة.
كانت الزيارات دائمًا تتم تحت إشراف، والحديث لا يكون إلا عن العائلة.
زيني وزيندزي يبلغانك حبهما يا نيلسون. هل تلقيت خطاباتهما؟
كانت الخطابات للسجناء عليها القيود نفسها؛ يُسمح بخطاب واحد فقط من خمسمائة كلمة كل ستة أشهر.
كانت الخطابات تصل بعد شهور من التأخير ...
... وغير صالحة للقراءة؛ حيث تقتص رقابة السجن أي معلومات تريد منع السجناء من معرفتها.

بحلول يناير ١٩٦٥، كان الرجال يجبرون على القيام بأعمال شاقة كل يوم في محجر جير.

كان العمل شاقًّا جدًّا، وكانوا يعودون كل يوم بجروح دامية وقرح.

كان وهج الشمس شديدًا، وقد أحدث تلفًا دائمًا في عيني مانديلا.

بالرغم من صعوبة الأمر، فقد وجد الرجال طريقة لتناقل الأخبار أثناء وجودهم في السجن. كانت رسائل مانديلا والسجناء السياسيين الآخرين تمرر إلى السجناء الذين يعملون في المطبخ. هؤلاء الرجال كانوا يخبئون الرسائل بعد ذلك ويحرصون على وصولها لعامة السجناء.

كان مانديلا وأصدقاؤه جميعًا يرسلون الرسائل ويتلقونها بهذه الطريقة؛ عبر قصاصات الورق المخبأة في طعامهم.

سمعت أن السجناء الآخرين سيضربون عن الطعام احتجاجًا على الوضع. يجب أن ندعمهم ونحذو حذوهم.

لذا أضرب مانديلا والبقية عن الطعام.

لأول مرة منذ وصوله، حاول السجن إضعاف عزيمة مانديلا عن طريق إغرائه بالكثير من الطعام مدة أربعة أيام متتالية.
ألن تتذوقه؟ هل ستكمل إضرابك عن الطعام؟
لا أفهم يا مانديلا. ما الذي تظن أن الإضراب عن الطعام سيحققه؟
ربما لا شيء. وربما يضمن لنا طعامًا أفضل وظروف معيشة أفضل. يجب فقط أن نستمر في المحاولة.
بالرغم من عزل مانديلا عن معظم السجناء، فقد ظل قادرًا على القيادة والحشد. وكان هذا أكثر ما تخشاه سلطات السجن.
ماذا تقصد بأن جميع الحراس يقاطعون كافيتيريا السجن؟ هل سينضمون لإضراب السجناء عن الطعام؟
لن ننضم «لهم». بل سنقاطع من أجلنا «نحن». نريد تحسين طعامنا وظروف معيشتنا.
لم يتمكن السجن من التعامل مع الضغوط القادمة من كل النواحي. فحسنوا الأوضاع للسجّانين، وبدءوا في المفاوضات مع السجناء أيضًا.
لم تكن الظروف داخل السجن وحدها على المحك، بل أكثر من ذلك بكثير.

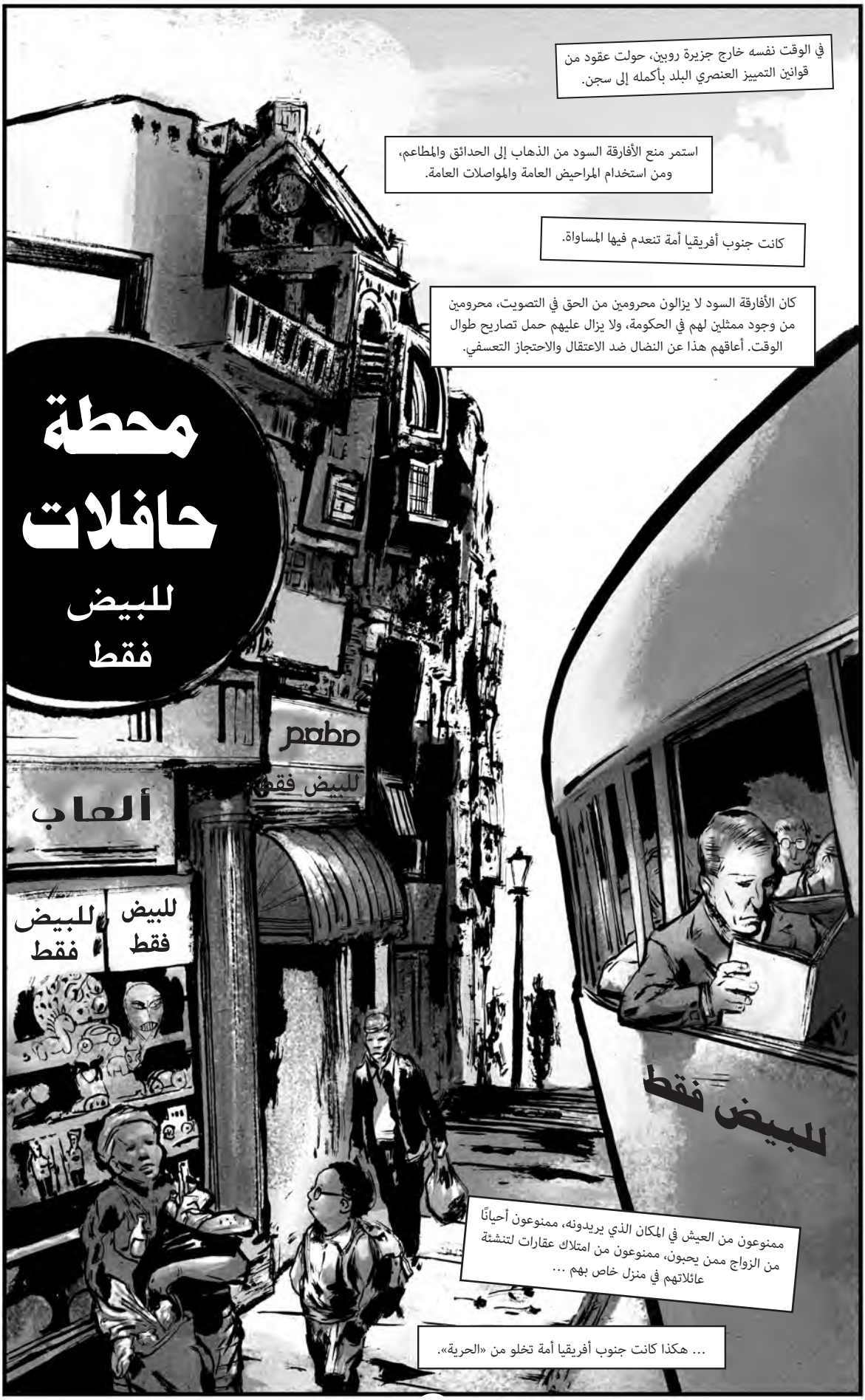
في الوقت نفسه خارج جزيرة روبين، حولت عقود من قوانين التمييز العنصري البلد بأكمله إلى سجن.
استمر منع الأفارقة السود من الذهاب إلى الحدائق والمطاعم، ومن استخدام المراحيض العامة والمواصلات العامة.
كانت جنوب أفريقيا أمة تنعدم فيها المساواة.
كان الأفارقة السود لا يزالون محرومين من الحق في التصويت، محرومين من وجود ممثلين لهم في الحكومة، ولا يزال عليهم حمل تصاريح طوال الوقت. أعاقهم هذا عن النضال ضد الاعتقال والاحتجاز التعسفي.
محطة حافلات
للبيض فقط
مطعم
للبيض فقط
ألعاب
للبيض فقط
للبيض فقط
للبيض فقط
ممنوعون من العيش في المكان الذي يريدونه، ممنوعون أحيانًا من الزواج ممن يحبون، ممنوعون من امتلاك عقارات لتنشئة عائلاتهم في منزل خاص بهم ...
... هكذا كانت جنوب أفريقيا أمة تخلو من «الحرية».

أُعيد تعريف مصطلح «موظف» مع استثناء الأفارقة السود ومنعهم من شغل المهن الحرفية أو الوظائف الإدارية التي كانت محفوظة للبيض، وبذلك حُرموا من أي حماية قانونية.
وحيث إنهم لم يعتبروا موظفين، لم يتمكنوا من الانضمام إلى النقابات ولا الإضراب لتحسين ظروف عملهم.
كانت جنوب أفريقيا تتحول إلى أمة لا أمل لها.
فُرضت قيود على المدارس، حيث حُرم التلاميذ السود من حرية اختيار المواد التي يريدون دراستها. وحُظر عليهم أيضًا ارتياد بعض الجامعات.
للبيض
للسود
كانت جنوب أفريقيا تتحول إلى أمة بلا مستقبل.

في جزيرة روبن، ركز مانديلا اهتمامه على الأمور التي ربما استطاع تغييرها، بدايةً بالقيود والتجاوزات داخل السجن.

الأمر بخصوص أحد السجناء يا سيد مانديلا. إنه في حالة سيئة.

لقد ضربه أحد الحراس. ونخشى أن يحدث ذلك مجددًا. ساعدنا. من فضلك، ساعدنا.

كان السجناء دائما يلجئون إلى مانديلا طلبًا للمساعدة. وعندما أعلن في ١٩٧٠ عن قدوم بعض القضاة لتفتيش السجن ...

... اختار جميع السجناء الصمت وطلبوا أن يتحدث مانديلا نيابة عنهم.

ربما يجب أن نتحدث على انفراد يا سيد مانديلا. بعيدًا عن الجنرال ستاين والكولونيل بادينهورست.

كان ستاين مفوض السجون وبادينهورست الضابط المسئول عن السجن.

وكان بادينهورست معروفًا بأنه رجل نظامي عنيف يحب توظيف حراس قساة ووحشيين.

لا يوجد لدي أسرار. ربما يجب أن يكونوا هنا للرد على الاتهامات بالإساءة.

لقد وقع اعتداء خطير من حارس من حراس السجن وكان أمرًا ...
أمرًا لم تشهده. احترس يا مانديلا. ستقع في مشكلة إذا واصلت الحديث.
إذا كان بإمكانه تهديدي أمامكم، فما الذي تظنون حدوثه عندما لا تكونون هنا؟
تفهم القضاة شكاوى السجناء وتصرفوا بناء عليها. توقفت تجاوزات بادينهورست على الفور تقريبًا ...
... ونُقِلَ في خلال أشهر قليلة.
أعتقد أن مهمتي هنا قد انتهت. حظًا سعيدًا لك.
كانت كلمات بادينهورست لفتة صغيرة، لكنها عبرت عن أحد الجوانب الإنسانية فيه. بدا غريبًا أن تصدر من شخص كان قاسيًا جدًّا فيما مضى.
تساءل مانديلا أكثر من أي وقت مضى، كيف ستكون بلاده إذا تمكنوا من تغيير النظام الظالم وقوانينه بالطريقة نفسها التي بدا أنها غيرت بادينهورست.

بمرور السنوات، أثمرت بعض اجتماعات مانديلا المماثلة عن بعض التغييرات الطفيفة في جزيرة روبين.

تحسن الطعام والملبس، استبدلت أسرة بحصائر القش، وزودت الزنازين بطاولات وكراسٍ.

لم تنجح خطط السجن الحقيرة قط في إخضاع السجناء، لكن أخضع رقابهم توافد الأخبار المؤلمة عن أحبائهم ببطء.

في ١٩٦٥ وصلتهم أنباء بأن برام فيشر اعتقل.

كان فيشر تتملكه رغبة ملحة في مساعدة أصدقائه، لكنه أدرك أنه لن يتمكن من فعل ذلك إذا اعتقل وسُجن. لذا اختبأ لتفادي الاعتقال لكن سرعان ما اكتشفته الشرطة.

مع اعتماد الكثيرين على مانديلا ليمنحهم القوة، كان مانديلا نفسه يعتمد كثيراً على فيشر.

لكن كان على فيشر أيضًا أن يقاسي فظائع حياة السجن.

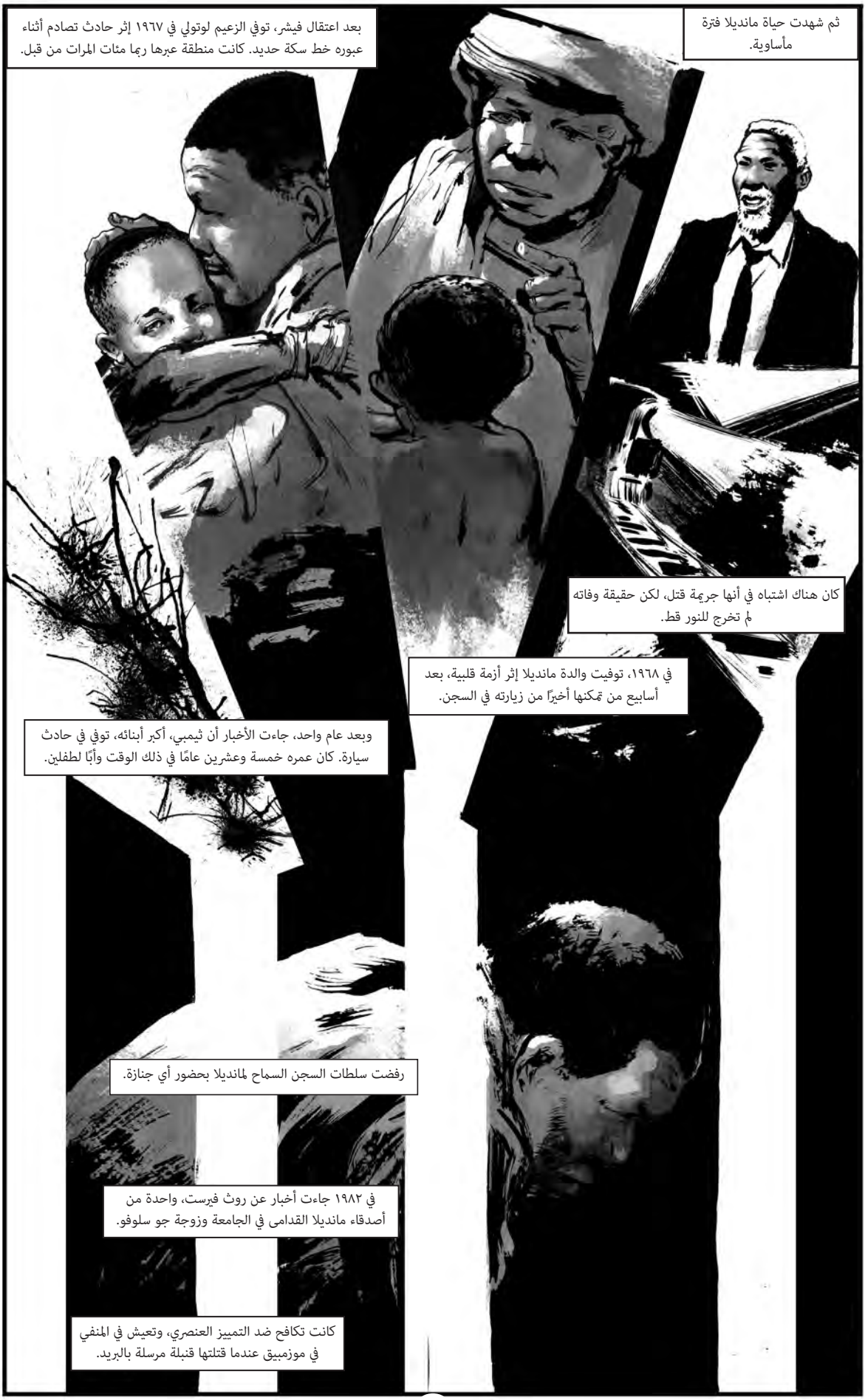
ثم شهدت حياة مانديلا فترة مأساوية.
بعد اعتقال فيشر، توفي الزعيم لوتولي في ١٩٦٧ إثر حادث تصادم أثناء عبوره خط سكة حديد. كانت منطقة عبرها ربما مئات المرات من قبل.
كان هناك اشتباه في أنها جريمة قتل، لكن حقيقة وفاته لم تخرج للنور قط.
في ١٩٦٨، توفيت والدة مانديلا إثر أزمة قلبية، بعد أسابيع من تمكنها أخيرًا من زيارته في السجن.
وبعد عام واحد، جاءت الأخبار أن ثيمبي، أكبر أبنائه، توفي في حادث سيارة. كان عمره خمسة وعشرين عامًا في ذلك الوقت وأبًا لطفلين.
رفضت سلطات السجن السماح لمانديلا بحضور أي جنازة.
في ١٩٨٢ جاءت أخبار عن روث فيرست، واحدة من أصدقاء مانديلا القدامى في الجامعة وزوجة جو سلوفو.
كانت تكافح ضد التمييز العنصري، وتعيش في المنفي في موزمبيق عندما قتلتها قنبلة مرسلة بالبريد.

١٢ مايو ١٩٦٩.

لكن من أصعب الأشياء التي كان على مانديلا تحملها أثناء وجوده في السجن، سماعه بما كانت زوجته ويني تمر به.

اتركها!

ماما! لا!

استخدمت الحكومة مع ويني الأساليب نفسها التي استخدمتها مع نيلسون لإضعافها.

كانت توضع بشكل منتظم تحت أوامر الحظر، اعتقلت مرارًا وتكرارًا بتهم وهمية، كانت تسقط بعد ذلك بدون تفسير. حتى إنها تعرضت للضرب في الحبس.

في ١٩٧٢، حاول رجلان قتلها في منزلها.

«النجدة! ساعدوني!

هرع جيرانها لمساعدتها وتمكنوا من إنقاذها.

كانت كل هذه الاعتداءات كافية لإثناء إرادة أي شخص تقريبًا.

مانديلا

حرروا مانديلا

حرروا مانديلا

لكن مثل زوجها تمامًا، لم تستسلم ويني. كانت تعلم أن التغيير لا بد أن يحدث في وقت ما، وكانت مستعدة لتحمل أي شيء لرؤية ذلك يحدث.

لكن عندما فتحت الشرطة النيران على أطفال متظاهرين في ١٩٧٦، بدا أن الأمور لن تتغير أبدًا.
كان الأفارقة البيض ما زالوا يرون مانديلا رمزًا مبهمًا، ويرون المؤتمر الوطني الأفريقي عدوًا لهم.
مع حظر الحكومة لكلمات مانديلا وحتى صورته، لم يتمكنوا من فهم القضية التي يناضل من أجلها.
حقوق
لكن خارج حدود جنوب أفريقيا، كانت الأجواء ملائمة للتغيير. كان الأفارقة في موزمبيق وأنجولا قد تمكنوا من تحرير بلادهم قبل ذلك بعام في ١٩٧٥.
خارج جنوب أفريقيا، لم يُعَدّ مانديلا عدوًا. بفضل جهود تامبو المتواصلة في الخارج، أصبح مانديلا الآن بطلًا.
حرروا مانديلا
حرروا مانديلا
عوضًا عن دعوة العالم للتركيز على حالة الملايين من الأفارقة معدومي الهوية الذين يعيشون في نصف العالم الآخر ...
الهند ١٩٧٩.
نتشرف بمنح جائزة جواهر لال نهرو لحقوق الإنسان إلى نيلسون مانديلا. ويتسلمها أوليفر تامبو نيابةً عنه.
لا يجب أن نتوقف أبدًا عن السعي إلى الحرية، ولا أن نتوقف أبدًا عن الإيمان بأن التغيير ممكن.
... كان تامبو يدعو العالم إلى النظر إلى رجل واحد باعتباره رمزًا للقمع.

في جزيرة روبين، واصل مانديلا وحلفاؤه كفاحهم.
في بداية عقوبتهم، ضغطوا على المسئولين من أجل امتيازات الدراسة؛ حيث كانت تلك فرصة لمواصلة تعليمهم أثناء وجودهم في السجن.
بعد منحهم هذا الامتياز، بحثوا عن فرص لمشاركة معرفتهم مع السجناء الآخرين من عامة السجناء.
وكان هؤلاء السجناء سعداء بفرصة التعلم. كانت خطط الدروس تنتقل من يد إلى أخرى بنفس الطريقة التي كان يتم بها تهريب الملاحظات في الأطباق المتسخة.
أصبح هناك المزيد من حرية الحوار عندما أرادوا.
الجزيرة التي كانت تعرف بأنها أقسى سجنًا في الأمة، اكتسبت الآن اسمًا آخر، جامعة الجزيرة.
أعطى مانديلا وأصدقاؤه دروسًا في كل شيء بدءًا من تاريخ المؤتمر الوطني الأفريقي، إلى الكفاح الهندي من أجل الحرية والماركسية والاقتصاد السياسي.
اليوم سأقرأ قصيدة ألهمتني كثيرًا ومنحتني القوة في أوقات الضعف. (روح لا تُقهر) لويليام إرنست هينلي:
في ظلمة ليل يغشاني
ويغشى الكون من حولي
أشكر كل إله كان
على روحي التي لا تقهر
فبرغم الباب المحكم
وبرغم تزاحم العقوبات في الجدول
أنا سيد قدري:
أنا قائد روحي.
ونقل مانديلا كل ما كان لديه من المعرفة لبقية السجناء.

٣١ مارس ١٩٨٢.
احزم أغراضك يا مانديلا. سترحل. سيسولو، مهلابا، ملانجيني وأنت ستنقلون.
بعد حوالي ثمانية عشر عامًا في جزيرة روبين، نُقلوا إلى سجن بولسمور الذي كان تجربة مختلفة جدًّا.
كان لديهم هناك طابقهم الخاص مع مراحيض وحمامات خاصة.
كانوا يحصلون على طعام أفضل، ولم يكن هناك وقت محدد للوجبات، بل أصبح بإمكانهم الأكل وقتما شاءوا. وأصبح لديهم حرية الاطلاع على الصحف أيضًا.
انتهى عمل العقدين المنصرمين الشاق. كان العمل الوحيد الذي يقوم به الرجال حينئذٍ هو العناية بحديقة، وحتى ذلك تم بناءً على طلب مانديلا.
سرعان ما صُرّح لهم بالزيارات المباشرة. كانت المرة الأولى منذ عقدين التي يُسمح فيها لمانديلا وويني بأن يكونا في الغرفة نفسها. عانق كل منهما الآخر فقط دون قول أي كلمة.
سرعان من انضم كاثي للرجال الأربعة، وسرعان ما ظهرت رفاهيات صغيرة مثل التلفاز. وسريعًا ما أصبح مسلسل «كوزبي» مسلسل مانديلا المفضل.
لكن عدة أسئلة كانت تدور في أذهانهم. لماذا يسمح لهم بهذه الامتيازات؟ لماذا الآن؟ هل كانت الحكومة تخفف من حدة موقفها؟ أم تتوقع أن يخفف السجناء من حدة موقفهم؟
كان هذا السجن أكثر تحررًا من حيث عدد الخطابات التي يمكن إرسالها وتلقيها. يُسمح لكل سجين الآن بإرسال وتلقي اثنين وخمسين خطابًا في السنة.

في ديسمبر ١٩٨٥، نُقل مانديلا إلى قسم خاص في السجن. درس مانديلا كل دافع محتمل وراء هذا العزل.

ربما تعطينا السلطات امتيازات وتعزلني لإضعاف موقفنا. لكن أعتقد أن هناك ما هو أكثر من ذلك.

كانت جنوب أفريقيا لا تزال في فوضى مع زيادة العنف الصادر عن كل من الأفارقة والحكومة. وكانت نجاة البلد تتوقف على حدوث تغيير سريع.

إمبراطورية جديدة

كانت الحكومة على استعداد للإفراج عن مانديلا في فبراير ١٩٨٥ قبل موعد الإفراج الحقيقي عنه. وصّل مانديلا رده على عرض الرئيس بوثا عن طريق ابنته.

وكتب مانديلا إلى كوبي كوتزي وزير العدل.

يونيو ١٩٨٦. كيب تاون بجنوب أفريقيا.

شكرًا لك على حضورك لمقابلتي في بيتي يا سيد مانديلا. أعتذر لأنه لم يتسنَ لك الوقت لتغيير ملابس السجن.

إنه من دواعي سروري مقابلتك أيضًا يا سيد كوتزي.

يا سيد مانديلا نريد أن تنتهي مقاومة المؤتمر الوطني الأفريقي المسلحة.

ونحن نريد أن يتوقف احتلال الجيش للمناطق الأفريقية يا سيد كوتزي. لا يمكننا أن نعد بأي شيء إن لم «يتوقف العنف» ضد قومنا.

وبذلك بدأت المفاوضات بين الحكومة ومانديلا أخيرًا.

لم تكن المفاوضات سريعة. لا يمكن أن تكون كذلك بعد عقود من التمييز العنصري الذي باعد بين الطرفين.

الإفراج عني وحدي لن يحل شيئًا. نحن بحاجة إلى المشاركة العادلة في الرأي في مستقبل بلادنا. أطالب بالتمثيل النيابي العادل.

استمرت المحادثات مع كوتزي سنوات.

الأفارقة هم الأغلبية في هذا البلد. التمثيل النيابي العادل سيعني أن السلطة ...

مشتركة. سيعني أن السلطة «مشتركة». كانت الديمقراطية متعددة الأعراق هي هدفنا دائمًا.

لم يرد مانديلا مشاركة تطور الاجتماعات مع أصدقائه حتى يتأكد من نتائجها. انتظر عامًا حتى أخبرهم عن حالة مناقشاته.

ليس التفاوض هو ما أعترض عليه يا نيلسون. كنت أفضل لو كانت الحكومة هي التي بادرت به.

لقد قلت إنك راسلت أوليفر؟ وإنه عبر عن المخاوف نفسها حول المساومة على موقف المؤتمر الوطني الأفريقي تجاه النزاع المسلح؟

لقد فعل. لكني لا أنوي التخلي عن المعتقدات التي كافحنا من أجلها.

التحول من اللاعنف في ١٩٦١ تم بهدف إجبار الحكومة على التفاوض. بعد ثلاثة عقود، تحقق الهدف أخيرًا.

بحلول ١٩٨٨، كانت تجري محادثات رسمية كل أسبوع تقريبًا. وسرعان ما أراد الرئيس بوثا أيضًا مقابلة مانديلا. لكن كان يجب أن يتأجل اللقاء ...

إن سبب المشكلة هو وجود مياه في الرئتين يا سيد مانديلا.
إنها المراحل المبكرة من مرض السل. لكن مع بعض الراحة ستكون أفضل حالًا.
لم تكن الزنزانة الرطبة في زنزانة بولسمور بالمكان المثالي لصحة رجل في التاسعة والستين من عمره. ولذلك نُقل مانديلا إلى عيادة مؤقتًا لتلقي العلاج.
سيد مانديلا، لن تتحسن إذا تناولت ذلك! يجب أن تتناول شيئًا صحيًا أكثر من البيض واللحم المدخن.
هل لديك أي فكرة منذ كم عام مضت لم أتذوق اللحم المدخن والبيض؟ من أجل هذه السعادة البسيطة، سأخاطر بصحتي بكل سرور.
في الحادي عشر من يونيو ١٩٨٨، احتفالًا بعيد مولد مانديلا السبعين، نظم توني هولينجزورث حفلًا موسيقيًا تكريميًا لرفع الوعي السياسي بالوضع في جنوب أفريقيا.
جمع الحفل الذي عقد في إستاد ويمبلي في إنجلترا أكثر من خمسين موسيقيًا وممثلًا، من بينهم فنانون عظماء مثل ...
... ويتني هيوستن ...
... وهاري بيلافونتي ...
... وإريك كلابتون.
أُذيع الحفل في سبع وستين دولة، وشاهده أكثر من ستمائة مليون شخص، فسجل أعلى نسبة مشاهدة في تاريخ البرامج الترفيهية. كان عرضًا ضخمًا للدعم، يدعو إلى إطلاق سراح مانديلا من بولسمور، ويطالب بإنهاء التمييز العنصري.

في التاسع من ديسمبر ١٩٨٨، غادر مانديلا بولسمور. نُقل إلى سجن فيكتور فيرستر وزاره كوبي كوتزي بعد ذلك بيوم.

ظننا أنك ستكون أكثر راحة هنا يا سيد مانديلا. إنه أكثر خصوصية من أجل مناقشاتنا.

شكرًا يا سيد كوتزي. أقدر هذه اللفتة الطيبة.

كان مانديلا يسكن في كوخ خاص على أراضي السجن. وبه غرفة نوم كبيرة وغرفة معيشة ومسبح وحتى مطبخ وطباخ خاص. لكنه لا يزال سجنًا.

كان الطباخ الخاص، ضابط الصف جاك سوارت، قد عمل سابقًا في جزيرة روبين.

كنت أوصلك إلى محجر الجير يا سيد مانديلا. اعتدت أن أسلك طريقًا وعرًا حتى تكون الرحلة غير مريحة. أعتذر عن قيامي بذلك.

بعد التعذيب سنوات عديدة، كانت كل الأسباب تدفع مانديلا ليكون مملوءًا بالكراهية، لكن الكراهية لن تشفي وطنه الجريح.

سيد مانديلا لا يجب أن تغسل الأطباق؛ إنها «وظيفتي».

لقد قمت بأعمال الطبخ جميعها. ومن العدل أن أغسل أنا الأطباق. اتفقنا؟

وحدها الرغبة في التقاء وجهات النظر يمكن أن تشفي الوطن، وتسمح للصداقات بالتكون في أغرب الأماكن.

٥ يوليو ١٩٨٩.
كان أول اجتماع لمانديلا مع الرئيس بوثا موجزًا، ولم يستمر أكثر من ثلاثين دقيقة.
تريد مني إطلاق سراح كل المساجين السياسيين؟ لا أستطيع فعل ذلك يا سيد مانديلا.
في وقت سابق من ذلك العام، كان الرئيس بوثا قد تعرض لسكتة دماغية واستقال من رئاسة الحزب الوطني. ومع ذلك رفض التنحي عن الرئاسة حتى تعرض لضغط كبير جعله يقول ...
إنني أعلن التنحي عن رئاسة جنوب أفريقيا.
أدى صراع على السلطة بين قادة الحزب الوطني الجديد إلى تنحية بوثا بالكامل. وحلف فريدريك ويليام دي كليرك اليمين رئيسًا جديدًا للبلاد فورًا.
سيدي الرئيس، يخطط ثلاثون ألف متظاهر ضد التمييز العنصري للاحتجاج على وحشية الشرطة في كيب تاون في الثالث عشر من سبتمبر ١٩٨٩. فهل نحظر التجمهر؟
لا. دع الاحتجاج يستمر. فقط أخبر المنظمين أنه ينبغي أن يظل سلميًا.
بحلول أكتوبر ١٩٨٩، أُطلق سراح حلفاء مانديلا. كان إطلاق سراح المسجونين السياسيين شيئًا يطالب به مانديلا منذ اجتماعه الأول مع الرئيس بوثا.
خلال الأشهر القليلة التالية، أُعلن إلغاء التفرقة العنصرية في المطاعم والحافلات، ورفع الحظر عن المؤتمر الوطني الأفريقي وإلغاء عقوبة الإعدام.
كان التغيير يتحقق «أخيرًا» في جنوب أفريقيا. لكن كان يوجد سجين آخر لا يزال يحتاج إلى إطلاق سراحه.

في جميع أنحاء العالم، كانت محنة مانديلا قد حولته إلى بطل في عيون كل من يحارب من أجل الحرية والمساواة.

بصرف النظر عن عدد قوانين التمييز العنصري التي أُلغيت، لن ينظر العالم إلى جنوب أفريقيا على أنها دولة خضعت للإصلاح ومانديلا لا يزال خلف القضبان.

خُتمت المفاوضات بنخب، لكن مانديلا لم يكن يحب الويسكي فتظاهر بشربه.

١١ فبراير ١٩٩٠.
عشرة آلاف يوم في السجن، عمر من الفرص الضائعة. كل ما أُخذ من مانديلا لا يمكن إرجاعه أبدًا.
عندما كان في السجن، أحرق بعض مشعلي الحرائق منزل مانديلا. فُقدت الصور العائلية إلى الأبد.
عندما تزوجت ابنته زيني في ١٩٧٨، ناب أحد أصدقاء مانديلا عن والد العروس.
فاته أن يشاهد أحفاده يكبرون، مثلما فاته أن يعيش من أجل أطفاله.
الكثير من اللحظات القصيرة فُقد إلى الأبد. وأخيرًا في سن الحادية والسبعين، أُطلق سراحه من السجن.
مانديلا زعيمنا
مرحبًا بك
حصل نيلسون مانديلا على حريته.

بعد بضعة أيام.
لقد اعتدت أن أرتب فراشي في السجن، يبدو أنني عاجز عن التخلي عن هذه العادة.
حسنًا، عندما تنتهي ... أتريد الإفطار يا نيلسون؟
سيكون هذا رائعًا. شكرًا.
لدي سؤال واحد لك. ماذا تحب أن تتناول على الإفطار؟
عصيدة وفواكه طازجة، وبعض الحليب إذا كان لدينا ذلك. أعتقد أنه يوجد الكثير لنتحدث عنه.
لقد مرت سنوات عديدة؛ لقد نسيت تقريبًا.
هناك الكثير من الأشياء التي لا أتذكرها أيضًا، مثل أين وضعت رابطة عنقي. فنظرًا لعدم وجودي في زنزانة ضيقة، لا أستطيع تذكر في أي غرفة تركتها.
لقد خرج مانديلا من السجن لكن وطنه لم يصبح حرًا بعد. وكان لا يزال أمامه الكثير من العمل للقيام به.

في ٢٦ مارس ١٩٩٠، بعد أسابيع فقط من إطلاق سراح مانديلا أطلقت الشرطة الرصاص على حشد من المتظاهرين. وبحلول شهر يوليو من ذلك العام كان قد وصل عدد الضحايا إلى ١٥٠٠ شخص.

طوال سنوات، ظل شعار «حرروا مانديلا» صيحة استنفار للملايين من سكان جنوب أفريقيا. والآن كانوا يتطلعون إلى أن يرشدهم قائدهم الحر.

هل ينبغي عليهم مواصلة محاربة العنف بالعنف مثلما دعا مانديلا طوال عقود سابقة؟

هل سيحققون الحرية؟ هل من أمل في أن يحل السلام أبدًا؟

كان الملايين ينتظرون متأهبين للتحرك بناءً على توجيهات مانديلا. كان مصير أمة بأكملها بين يديه.

وكسابق عهده، اتجه مانديلا نحو أولئك المقربين إليه مثل صديقه القديم جو سلوفو.

التقيت الرئيس دي كلريك مرة أخرى يا جو. إنه «يدعي» أن رجال الشرطة اعتقدوا أن حياتهم كانت في خطر عندما أطلقوا الرصاص على الحشد «الأعزل».

إنهم لن يضعوا حدًّا لأعمال العنف التي يمارسونها ضدنا. وقد توقفت محادثات السلام. يبدو وكأن الحكومة تعتقد أننا سنتخلى عن كفاحنا الآن لأنني صرت حرًّا. أو ربما يعتقدون أننا لا نستطيع تغيير بلدنا.

ماذا برأيك ينبغي أن نفعل يا جو؟

لا يمكننا التخلي عن الكفاح بالتأكيد ماذا لو أوقفنا القتال المسلح مؤقتًا يا نيلسون؟

هل تقترح إظهار حسن النية من أجل الحفاظ على استمرارية المحادثات؟

لقد ساعد الضغط الذي فرضه العالم على إطلاق سراحك. العالم لا يزال يراقبنا.

والآن ينبغي علينا أن نُظهر للعالم التزامنا بالسلام. نحتاج أن نخبرهم أن هدفنا هو العيش في بلد يتمتع فيه الناس من جميع الأعراق بصوت واحد.

مرة أخرى، قبلت الحكومة إرشادات مانديلا.

في السادس من أغسطس ١٩٩٠، وقع كل من المؤتمر الوطني الأفريقي وحكومة جنوب أفريقيا اتفاقية لوقف القتال المسلح.

HOTEL

ومع ذلك استمرت المفاوضات دون أي تقدم حقيقي. لم يكن الحزب الوطني يريد التخلي عن سيطرته.

حتى الآن كان سكان جنوب أفريقيا البيض فقط هم من يحظون بحرية الرأي، وأرادت الحكومة أن تعرف ما إذا كانوا على استعداد لأن يشاركهم غيرهم باسم العدالة والمساواة.

لذا في السابع عشر من مارس ١٩٩٢، أُجري استفتاء لمعرفة رأي السكان البيض فيما يتعلق بالمفاوضات المتوقفة.

التصويت هنا

واتضح أنهم أرادوا الحفاظ على استمرار المحادثات أيضًا.

أرادوا الإصلاح؛ فصوتوا من أجل السلام.

وبهذا استُؤنفت المفاوضات مرة أخرى بهدف تشكيل دولة جنوب أفريقيا الجديدة.
إذن أنت لا تطلب أن يحظى المؤتمر الوطني الأفريقي بالسيطرة الكاملة؟
لا، نحن لا نطلب ذلك يا سيد دي كليرك. نحن نقترح تسوية بين جميع الأطراف.
طيلة شهور، ساعد مانديلا في وضع دستور جديد وتشكيل حكومة جديدة.
دعنا نتفق إذن على فترة انتقالية مدتها خمس سنوات ...
... على أن يكون لكل حزب سياسي يحصل على نسبة خمسة في المائة من الأصوات على الأقل الحق في المشاركة في السلطة ويكون له دور في الحكومة.
وبعد السنوات الخمس، ستكون لدينا ديمقراطية حقيقية وحكم أغلبية.
انتهت المفاوضات في مستهل عام ١٩٩٣. وكانت جنوب أفريقيا مستعدة لأن تصبح أمة حرة.

عاش أوليفر تامبو طويلًا بما يكفي للعودة بعد أن أمضى عقودًا في المنفى، لكنه لم يعش طويلًا حتى يرى حلمه يتحقق. فقد توفي قبل الانتخابات بثلاثة أيام.

فرض العمل والوقت الذي لا ينتهي الذي خصصه مانديلا في سبيل تحقيق حلم تحرير جنوب أفريقيا ضغطًا كبيرًا على زواجه من ويني.

فانفصلا قبل الوصول إلى الاتفاق الشهير ببضعة أشهر. لكن لم تذهب كل التضحيات سدى.

ففي السابع والعشرين من أبريل للمرة الأولى في تاريخ جنوب أفريقيا، وقف المواطنون من جميع الأعراق في الصف نفسه للتصويت؛ متمتعين بحقوق متساوية في التصويت.

كانت هذه لحظة تاريخية وبداية فصل جديد في حياة جنوب أفريقيا.

فاز المؤتمر الوطني الأفريقي بالانتخابات بنسبة ٦٢,٥٪ من الأصوات. وفي العاشر من مايو ١٩٩٤ حلف نيلسون مانديلا اليمين رئيسًا لجنوب أفريقيا وعين دي كليرك أحد نواب الرئيس.
لقد حان الوقت لتندمل جراحنا. قد حانت لحظة رأب الفجوات التي تفرق بيننا. وتقع مهمة التغيير على عواتقنا.
نهدي هذا اليوم لكل الأبطال والبطلات في هذا البلد وبقية العالم الذين ضحوا بالكثير وبذلوا حياتهم لنكون أحرارًا.
أثناء رئاسة نيلسون مانديلا، وافق على إنشاء حوالي مليون وحدة سكنية منخفضة التكاليف للفقراء. ووفر مياهًا نظيفة للقرى الريفية مثل تلك التي كان يعيش فيها في صباه.
في ١٩٩٣، حصل على جائزة نوبل للسلام بالاشتراك مع دي كليرك تقديرًا لجهوده في سبيل القضاء على نظام التمييز العنصري بنجاح. وتبرع بنصيبه من مبلغ الجائزة وثلث راتبه إلى عدة مؤسسات خيرية للأطفال.
كان السجين الذي تحول رئيسًا يرمز لأمل أمة بأكملها؛ أمة تحررت أخيرًا من ظلم التمييز العنصري.

أراد نيلسون مانديلا أن يغير بلاده. ونجح في ذلك أخيرًا.
مع إلغاء قوانين التمييز العنصري، حصل شعب جنوب أفريقيا أخيرًا على الحق في التصويت.
أصبح بإمكانهم الآن التعبير عن آرائهم بحرية وعلنًا، تأييدًا لمنظمات كانت محظورة فيما سبق مثل المؤتمر الوطني الأفريقي.
وحصلوا أيضًا على حرية التعبير عن معارضتهم، والحق في توجيه الانتقاد حتى للرئيس دون خوف من الانتقام.
معدلات البطالة «لا تزال» مرتفعة جدًا. ويجب أن يفعل الرئيس مانديلا شيئًا حيال ذلك!
للبيض فقط!
كان لدى شعب جنوب أفريقيا الآن حرية لم يعرفها قط. بدءًا من كيف كانوا يكسبون لقمة العيش إلى المكان الذي يختارونه لإقامة عائلة ...
... كان بإمكانهم الآن اتخاذ قرارات حياتهم الخاصة ولم تحدد أفعالهم بلون بشرتهم.

أتيحت لشعب جنوب أفريقيا الآن الفرصة للحلم بحياة أفضل. أصبح بإمكان أحدهم أن يطمح إلى أن يصبح شخصًا عظيمًا ويخلق عالمًا أفضل.
مُنحوا الحرية لاكتساب المعرفة التي من شأنها أن تحول طموحاتهم إلى حقيقة يومًا ما.
كان مانديلا عازمًا على أن يقود أمته من التمييز العنصري إلى الحرية. وبعد أن حقق ذلك، اختار تولي منصب الرئاسة لفترة واحدة فقط، وتنحى في ١٩٩٩ بالرغم من موافقة ثمانين بالمائة من سكان البلاد على أدائه.
لكن حتى بعد تخليه عن منصبه الرسمي، استمر في العمل من أجل بلده وشعبها.

بدأ مانديلا في التركيز على قضايا جديدة.

عندما توفي ابنه ماكجاثو جراء المضاعفات الناتجة عن الإيدز في ٢٠٠٥، أصبح واحدًا من الأصوات البارزة الداعية للتوعية بمرض الإيدز وتمويل حملات مكافحته.

ووجد الفرصة لإظهار العطف نحو الأعداء القدامى.

كان هندريك فيرفورد رئيس وزراء جنوب أفريقيا عندما حكم على مانديلا بالسجن مدى الحياة ظلمًا. ومع ذلك رافق مانديلا أرملة فيرفورد — بيتسي — لوضع الزهور على قبر زوجها.

ووجد الوقت لينعم بلحظات من السعادة، عندما وقع في حب جارسا ماشيل، أرملة رئيس موزمبيق السابق.

أمضت ماشيل عشر سنوات وزيرة للتعليم في موزمبيق أثناء فترة رئاسة زوجها. وكانت قد نالت ميدالية نانسن من الأمم المتحدة تقديرًا لأعمالها الإنسانية وكانت متفانية للأعمال الخيرية عندما التقت بمانديلا.

تزوجا في ١٩٩٨ في عيد ميلاد مانديلا الثمانين.

وبنيا منزلًا في قرية طفولته كونو، حيث قررا قضاء بقية حياتهما.

سجل التاريخ إحدى الصور الخالدة التي لا تُنسى لمانديلا في عام ١٩٩٥ عندما كان لا يزال رئيسًا. فاز فريق سبرينجبوكس — فريق جنوب أفريقيا للرجبي — بكأس العالم وكانت تلك لحظة هامة جدًّا.

أثناء الفصل العنصري، كان الفريق الأبيض بالكامل قد أصبح رمزًا آخر مكروهًا للتمييز. ظل الأفارقة السود سنوات يشجعون أي منافس لسبرينجبوكس، ومع ذلك كان مانديلا هناك مرتديًا ألوان «العدو» و«العدو» يتغنى باسمه.

وكان هذا سبب تفرد مانديلا. سواء أكان زيًّا أم رجلًا أمامه، كان يستطيع أن يستشف ما يخفيه اللون وراءه. كان ينعم بهبة نادرة لا تتمثل فقط في رؤيته للإنسانية في كل الناس ... وإنما أيضًا في رغبته في الاهتمام بكل إنسان.

بدءًا من حراس السجن المتعصبين الذين كان مانديلا لا يزال يعاملهم باحترام إلى أفراد العصابات الأفارقة الذي كان يدرس لهم في «جامعة الجزيرة»، تمسك مانديلا بالأمل في قدرة الرجال والنساء جميعهم على التغيير.

في صباه، كان نيلسون مانديلا يرى موطنه مكانًا غير محدود الإمكانات، ولم ينقطع إيمانه بذلك أبدًا.

أراد أن يرى العالم ما بعد سنوات القمع والسجون الوحشية التي عرفها.

أراد أن يتذكر العالم جنوب أفريقيا ليس فقط بالأوقات الحالكة، لكن بأنها موطن للجمال والأمل.

بعد أكثر من عقد على تنحيه من الرئاسة، استمر مانديلا في العمل على تحقيق هذا الحلم ولعب دورًا قياديًا في محاولة إقامة كأس العالم لكرة القدم في جنوب أفريقيا.

كان ذلك أحد أكثر الأحداث المرموقة في تاريخ الرياضة، فلم يسبق أن أُقيم كأس العالم على أراضٍ أفريقية حتى فازت جنوب أفريقيا بحق استضافة الحدث.

طوال بضعة أسابيع عظيمة في صيف ٢٠١٠، نظر العالم بأكمله إلى جنوب أفريقيا. ولم يروا ماضيها البشع، وإنما رأوا مستقبلها الباهر.

لاح ذلك المستقبل بفضل توجيهات نيلسون مانديلا. نيلسون مانديلا، الرجل الذي ولد ليصبح مستشارًا للملوك وطُلب منه قيادة أمة، فعلّم العالم بأسره أنه بالحرية الحقيقية، يصبح أي شيء ممكنًا.

مسرد المصطلحات

أمامفينجو: واحدة من القبائل الأفريقية العديدة الموجودة بجنوب أفريقيا. انتقل أفراد هذه القبيلة إلى قرية نيلسون مانديلا عندما كان صبيًّا.

الفصل العنصري: نظام من القوانين الظالمة وضعته حكومة جنوب أفريقيا في الفترة بين عامي ١٩٤٨ و١٩٩٣ وكان ينطوي على تفرقة سياسية وقانونية واقتصادية ضد «غير البيض». ساعد الفصل العنصري على إبقاء الأقلية البيضاء في السلطة.

مشعلو الحرائق: مجرمون يشعلون النيران في الممتلكات.

المقاطعة: الامتناع عن شيء أو منع التعامل مع جهة، تعبيرًا عن الاعتراض.

تشي جيفارا: كان قائدًا في الثورة الكوبية، دعا جيفارا إلى أن شعوب الأمم المقهورة ينبغي أن تلجأ إلى حرب العصابات لنيل حريتهم؛ وهي استراتيجية تنطوي على حمل السلاح واستهداف نقاط ضعف الحكومة. حارب ضد القمع في أفريقيا وأمريكا الجنوبية. كانت تعاليمه ضمن تلك التي رجع نيلسون مانديلا إليها في كفاحه لتحرير جنوب أفريقيا.

إلغاء التمييز: إلغاء كل القوانين والقواعد التي فصلت بين الأعراق المختلفة.

التمييز: المعاملة غير العادلة بناءً على العرق أو الجنس أو الطبقة الاجتماعية أو المجموعة التي ينتمي لها الشخص.

ماو تسي تونج: عندما كان عضوًا في الحزب الشيوعي الصيني، ساعد على إشعال الثورة في الصين بتوحيد صفوف الفلاحين الفقراء في الريف. وبعد الإطاحة بالحكومة، تولى منصب رئيس جمهورية الصين الشعبية. ألهمت أفكاره مانديلا عندما كان يحارب ضد الظلم في جنوب أفريقيا. بالرغم من اعتبار ماو واحدًا من أبرز الشخصيات في التاريخ الحديث، يدور بعض الجدل حول تطبيق أفكاره لأنها لم تثمر عن نتائج إيجابية دائمًا.

الأحكام العرفية: حكم السلطات العسكرية المؤقت في أوقات الحرب أو الاضطرابات.

إطلاق السراح المشروط: إطلاق السراح المبكر من السجن لحسن السير والسلوك.

العقوبات الاقتصادية: عقوبة اقتصادية تفرضها مجموعة من البلدان ضد دولة أخرى متهمة بخرق القانون الدولي أو انتهاك المبادئ الأخلاقية.

حالة الطوارئ: وضع تعلق فيه الحكومة كل القوانين والحريات، وغالبًا ما يطبق كمحاولة لوقف الاحتجاجات.

تيمبو: واحدة من القبائل الأفريقية العديدة الموجودة بجنوب أفريقيا. بعد وفاة والد مانديلا، عاش مع الزعيم جونجينتابا داليندیبو وعائلته وكانوا جميعًا أفرادًا في قبيلة تيمبو.

خوسا: سكان جنوب شرق جنوب أفريقيا، الذين يتحدثون لغات بانتو وينتمون إلى عدة قبائل، ولديهم تراث متقارب لكنه مميز. ولد نيلسون مانديلا في أمة خوسا.